

مکالمہ

في مدرسة الرسول الأعظم (ص)

مختارات من كلمات قائد الثورة الإسلامية
آية الله العظمى السيد علي الخامنئي (مَدْ ظَلَّهُ الْعَالِيُّ) حول شخصية
رسول الإسلام الأعظم محمد بن عبد الله (صلوات الله و سلامه عليه و آله) و بعثته و نهجه



انتفاع العلوم و الحضارة البشرية من الإسلام و تعاليمه	٩١
وضع العالم و ظروفه في زمن بعثة نبي الإسلام (ص)	٩٢
العوامل و العناصر المهمة في نجاح الإسلام	٩٣
استمرار تأثير الإسلام و تأثيره على مر التاريخ و الحقبة المعاصرة	٩٥
المقام السامي لوجود الرسول الأكرم (ص) و شخصيته و رسالته	٩٦
جنور و أسباب الإهانات التي يوجهها الأعداء لساحة النبي الأكرم (ص) المقدسة	٩٧
مؤشرات الصحوة و الانبعاث الإسلامي في العصر الحاضر	٩٨
سقوط المعسكر الشرقي نموذج لإمكانية دحر المستكيرين	٩٩
البعثة.. فتح الطريق لخروج البشرية من كل الظلمات الفردية و الاجتماعية ..	١٠٠
خلاصة سيرة النبي الأكرم (ص) في الأعوام العشرة لحكمته في المدينة المنورة ..	١٠١
سبع مميزات رئيسية للنظام الإسلامي الذي أسسه الرسول الأكرم (ص)	١٠٢
دروس عديدة من سيرة الرسول (ص) خلال فترة حكمه في المدينة	١٠٥
الفطنة و التدبر الدقيق في الأداء السياسي للرسول الأكرم (ص)	١٠٧
خمسة أعداء أصليين هددوا المجتمع الإسلامي في عصر النبي (ص)	١١٠
٢ - الأشراف المستكرون الحاكمون في مكة	١١٠
٣ - القبائل اليهودية الثلاث	١١٢
٤ - المنافقون	١١٤
٥ - العدو الداخلي .. الميل النفسي نحو الانحراف و الضلال	١١٥
أهمية ولادة الرسول الأكرم (ص) و آثارها	١١٩
العلامات الرمزية لولادة الرسول الأكرم (ص)	١٢١
مقارنة بين جاهلية ما قبل الإسلام و الجاهلية المعاصرة	١٢٣
الصحوة الإسلامية عودة المسلمين من حقبة الجهل و الانحراف إلى تعاليم الرسول الحقيقة	١٢٥

إحياء ذكرى البعثة إعادة قراءة دروسها الكبرى.....	١٢٧
بعثة النبي الأكرم (ص) دعوة للتوحيد كمنهج حياة للبشر	١٢٨
البعثة دعوة لكل الكمالات التي يحتاجها البشر.....	١٢٨
مسؤولية العلماء و المثقفين و الرؤساء و النخب في إصلاح المجتمعات الإسلامية	١٣٠
شخصية الرسول الفدّة.. نموذج دائمي لكل العصور	١٣١
نبي الإسلام.. معلم كل الفضائل من عدالة و إنسانية و معرفة و أخوة و رشد و تكامل	١٣٢
شرح الواقع الراهن للمسلمين و الدعوة إلى وحدة الأمة الإسلامية	١٣٢
مسؤولية الحكومات و النخبة المسلمين الثقافيين و الدينيين حيال وحدة العالم الإسلامي	١٣٤
مميزات الأمة الإسلامية من بركات بعثة رسول الإسلام (ص).....	١٣٦
بداية الصحوة الإسلامية المعاصرة.. الهجوم الشامل للاستكبار على الشعوب المسلمة	١٣٧
وحدة المسلمين واجب عقلي على عاتق الأمة الإسلامية.....	١٣٨
أسباب تذرّع الأعداء بحقوق الإنسان و محاربة الإرهاب	١٤٠
يوم المبعث عيد البشرية كلها عبر التاريخ	١٤١
حقائق العالم المعاصر و ضرورة التنبّه لها: ١ - صحوة العالم الإسلامي.....	١٤٢
٢ - إسلام التفكير و التعمّق و التحرّر الفكري.. المظهر الحقيقي للصحوة الإسلامية	١٤٣
دروس الرسول الأكرم (ص) و واجب الجميع في مراجعتها و العمل بها.....	١٤٥
رسول الإسلام مجمع كل فضائل الأنبياء و الأولياء	١٤٦
رسالة تسمية سنة باسم الرسول الأكرم (ص).....	١٤٨
الأهداف العليا لرسول الإسلام: ١ - إتمام مكارم الأخلاق	١٤٩

٢ - الاستقامة و الثبات	١٥٠
أهمية وضع الأمة الإسلامية بالنسبة لروح الرسول الطاهرة	١٥٢
الصحوة الإسلامية.. السبيل الوحيد لاستعادة الأمة الإسلامية عزتها	١٥٤
ميزات الرسول الأعظم (ص) لتحمل أعباء البعثة الم浩لة	١٥٥
إشاعة نظرية فصل الدين عن السياسة من قبل المستكيرين المستعمرين.....	١٥٩
حاجة الأمة الإسلامية للحكومة الإسلامية الحقيقة.....	١٦٠
حدور الخطاط الأمة الإسلامية و عوامله.....	١٦١
حاجة البشرية الدائمة لرسول الرحمة (ص) و رسالته الإلهية.....	١٦٣
صحوة المسلمين الراهنة و الانفتاح على المعارف الإسلامية	١٦٥
حاجة البشرية لرسالة البعثة، و ثلاثة معالم مهمة للدعوة الإسلامية: العلم و الحكمة، و الترکية و الأخلاق، و العدالة و الإنفاق	١٦٦
الواجب الخطير للنخبة و المسؤولين في البلدان الإسلامية.....	١٦٦
استذكار البعثة مراجعة لدرس خالد للأمة الإسلامية و كل البشرية	١٦٨
الأبعاد المتعددة و المتنوعة لبعثة الرسول الأكرم (ص)	١٦٨
بعثة الرسول الأكرم (ص) طبيعة تاريخ إنساني جديد.....	١٦٩
العناصر المؤثرة و الضامنة لنجاح رسول الإسلام (ص) في ظروف الجاهلية و العصبية	١٦٩
ضرورة الدراسة الدقيقة لحياة الرسول الأكرم (ص) و فهم دروسها، و من دروسها البصيرة و الصبر	١٧٣
معان الأحداث التي اقتربت بولادة الرسول الأعظم (ص)	١٧٤
الوحدة الإسلامية الواجب الأصلي و المهم على المسلمين	١٧٦
العوامل الداخلية و الخارجية الناقضة لوحدة الأمة الإسلامية.....	١٧٦
واجبات الساسة و النخبة و المثقفين في العالم الإسلامي لمواجهة حيل الاستكبار	١٧٩

أبعاد التربية العقلانية و الأخلاقية و القانونية في بعثة الرسول الأكرم (ص) ..	١٨٠
١ - التربية العقلانية ..	١٨٠
٢ - التربية الأخلاقية ..	١٨٢
٣ - التربية القانونية.....	١٨٣
حاجة الأمة الإسلامية الشديدة إلى إعادة إنتاج الحقائق الإسلامية ..	١٨٤
بعثة النبي الأكرم (ص) سبيل تأمين كل المطالب الفطرية كالعدالة و السلام	١٨٥
سمات الجاهلية الحديثة في العصر الراهن.....	١٨٨
مؤشرات الصحوة الإسلامية و الزوال الأكيد للاستكبار و أعداء العدالة و السلام	
.....	١٨٩
آثار الصحوة الإسلامية في الحقبة المعاصرة.....	١٩٢
واجبات النخب السياسية و العلمية و الدينية في العالم الإسلامي لاستمرار	
الصحوة الإسلامية.....	١٩٥
يوم المبعث.. أهم و أعظم و أكثر أيام السنة بركة ..	١٩٧
العودة للإسلام السبيل الوحيد لإنقاذ البشرية و السير نحو الكمال ..	١٩٨
عدم جدوى مساعي الاستكبار لمواجهة الصحوة الإسلامية.....	١٩٩
تعليم دروس الرسول الأكرم (ص) السبيل إلى إحياء العزة الإسلامية ..	٢٠٠
شخصية الرسول الأكرم (ص) و خصائصها ..	٢٠١

مؤشرات
الصحوة و
الانبعاث
الإسلامي في
العصر الحاضر

أيها الإخوة و الأخوات الأعزاء.. العالم الإسلامي اليوم بحاجة أكثر من أي وقت آخر للاقتراب و الاندكاك بالمباني و الحقائق الإسلامية. إن الأرضية اليوم مهيأة في كل أرجاء العالم الإسلامي للتحرك و العمل الإسلامي. لم يعد فهم حقيقة التوحيد يصعب على الشعوب المسلمة في الراهن مقابل الفساد الذي يتقلب فيه العالم الغربي المادي. اليوم هو اليوم الذي يحتم على علماء الإسلام و مفكريه أن يتحركوا و يجدوا ليعرفوا القلوب على حقيقة الإسلام، و يقربوا الأمة الإسلامية من أرضية انبعاث الحياة الإسلامية و تحديدها، و قد توفرت و الحمد لله مقدمات ذلك، و ظهرت نماذج لذلك في أطراف العالم و أنحائه، و كان النموذج البارز لذلك قد تحقق في هذا البلد و بين أبناء الشعب الإيراني الكبير بتأسيس نظام الجمهورية الإسلامية.

أين ما تعاملنا بصدق مع الإسلام و حقائق الإسلام و الواجبات التي رسمنا لها إلى الإسلام، كانت النصرة الإلهية و الفوز و الموفقة من نصيحتنا. لقد جربنا ذلك في قضايا البلاد الداخلية، و لاحظناه في قضايا العالم الإسلامي. إذا كنتم تشاهدون الشباب المؤمن في لبنان قد استطاعوا تحقيق انتصار كبير لأنفسهم و للأمة الإسلامية و للشعب العربي، فذلك في ظل الإسلام و التعرّف على الإسلام و العمل بالحكم الإسلامي في هذا الموضوع.

وكذا الحال دوماً. هذا هو علاج آلام الأمة الإسلامية، و علاج الوجع الكبير للأمة الإسلام و الجرح العميق في العالم الإسلامي، أي قضية فلسطين. لا يظنّ البعض أن قضية فلسطين قد انتهت و أن الشعب الفلسطيني قد قضى عليه و القضية الفلسطينية دفنت تحت ركام الضحاج و الصحب! هذا خطأ و هم باطل. مرور الزمن لا يمكنه دفن حق مثل القضية الفلسطينية تحت أتربة العالم. فلسطين و الشعب الفلسطيني حيّ و مستقبل فلسطين مشرق.

سقوط المعسكر الشرقي نموذج لامكانية دحر المستكبرين

لاحظوا أن عدداً من البلدان - سواء في آسيا الوسطى أو في منطقة البلقان - كان بعضها لخمسين عاماً وبعضها لسبعين عاماً ضمن منظومة الاتحاد السوفيتي، و لم يكن يخطر ببال أحد أن يعودوا يوماً لهويتهم. لكنهم عادوا! ذات يوم كان الاتحاد السوفيتي يبدو عصياً على المزيمة والرزاول، وكان السطحيون والظاهريون يخالون أن البلدان التي ذابت في المنظومة السوفيتية قد انتهت إلى الأبد. لكن الأمر لم يكن كذلك. وكذا الحال بالنسبة لفلسطين. فلسطين لا تنتهي. فلسطين لا تمحى عن صفحة العالم، كما أن جنوب لبنان لم يكن ليضيع و يتمحى. لم يكن الصهاينة قد دخلوا للبنان ليغادروها ذات يوم. جاءوا ليبقوا هناك إلى الأبد! لاحظتم أن جهاد الشعب و الشباب المسلم في لبنان و صبرهم و استقامتهم طوال عشرين عاماً ضيق الخناق على العدو و اضطربه للتراجع. و نفس هذه الحالة تصدق على فلسطين نفسها. مقاومة الشعب المسلم و الاعتصام بالإسلام يمكنه إفشال هذه الخارطة الرائفة الكاذبة الحالية و إعادة الخارطة الحقيقية - خارطة فلسطين - و الشعب الفلسطيني ثانية على هذه الأرض. هذا شيء ممكن و سيحصل بفضل الله تعالى.

في ظل معرفة الإسلام و العمل به يمكن حصول و تحقق الكثير من الأمور التي قد تبدو لبعض العيون و الأنظار مستحيلة و صعبة. و حينما تتحقق على الصعيد العملي سيلاحظ أنها لم تكن صعبة و مستحيلة إلى الدرجة التي كانوا يصفونها.

نسأل الله تعالى أن يمن على الأمة الإسلامية بالصحوة، و يجعلنا من يعرف قدر الإسلام و القرآن الكريم و قدر الذات المقدسة لرسول الإسلام الكريم (ص). و ستبدل الاختلافات و التراعيات بين المسلمين إلى وحدة و ألفة إن شاء الله. و سنستطيع في ظل العناية الإلهية و الأدعية الزاكية لسيدنا بقية الله الإمام المهدى المنتظر (أرواحنا فداء) نحن و كل الأمة الإسلامية أن نصل إلى حيث أراد الإسلام لنا و لكل المجتمع الإنساني.^١

١. من كلمته في لقاءه مدراء الجماعة الإسلامية الإيرانية بمناسبة السابع عشر من ربيع الأول ذكرى ولادة الرسول

البعثة.. فتح
الطريق لخروج
البشرية من كل
الظلمات
الفردية و
الاجتماعية

المبعث هو عيد حقيقة.. و احتفال كبير.. احتفال للمسلمين في كل العصور و الأزمان، و لكل الناس لو تمعنوا جيداً في رسالة الإسلام.

لقد فتحت البعثة النبوية طريقةً جديدةً مُقابل الإنسانية.. «هو الذي يصلِّي عليكم و ملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور». ^١ البعثة هي من أجل أن تخرج الناس من الظلمات و تهديهم إلى النور. و هذه الظلمات تشمل كل أنواع الظلمات الموجدة في العالم و في أجواء الحياة البشرية و في كل التاريخ.. إنما ظلمات الشرك و الكفر، و ظلمات الجهل و الحيرة، و ظلمات الظلم و الجحود و انعدام العدالة و التمييز، و ظلمات البعد عن الأخلاق الإسلامية و التلاؤث بأدران الفساد الأخلاقي، ظلمات اقتتال الإخوة، و ظلمات سوء الفهم و اعوجاج الفهم و شتى صنوف الظلمات. يهدي الإسلام البشر للخروج من هذه الظلمات، و سوف تجد الإنسانية تدريجياً هذا السبيل عن طريق التعلم و السعي و الحركة و التصميم و التفكير السليم و معرفة العقبات و الموانع.

إمكانيات البشرية و قدرتها على فهم الرسالة النبوية أكبر حالياً بكثير مما كانت عليه في الماضي. كلما كان علم البشر أكثر كلما ارتفع احتمال توفيق رسالة الإسلام و نجاحها. كلما استخدم عناة العالم - في أي مكان من العالم كانوا - أدواتهم الحيوانية و التعسفية أكثر لقمع المشاعر الإنسانية من أجل تسخير البشر و التحكم بهم - و لهذا يظهر ظلم القوى المتعسفة ضد الإنسانية أكثر - كلما تفتح المجال أكثر للتعرف على نور الإسلام أكثر، و كلما تعطش الناس للإسلام أكثر. إننا في الوقت الحاضر نشعر بآثار تعطش البشرية لرسالة الإسلام، و هي رسالة التوحيد و المعنوية و العدالة و الكرامة الإنسانية.. الناس متشركون لهذه الرسالة.

طبعاً من واجبنا نحن المسلمين أن نعرض هذه الرسالة على أنظار العالم بسلوكنا و أقوالنا و عزيتنا و إرادتنا. أين ما صدر عن المؤمنين بالإسلام داخل الأمة الإسلامية

الأكرم (ص)، بتاريخ ٢٠٠٠/٠٦/٢٠ م.

١. سورة الأحزاب، الآية ٤٣ .

تحرك فيه فضيلة ازداد الإسلام في أعين الناس في العالم نوراً و جاذبية. وأين ما يظهر عن أبناء الأمة الإسلامية حالات ضعف و خور و ذلة و انحطاط و تخلف، فسيكون هذا سبباً في الحط من شأن الإسلام. إذا صدر اليوم عن الأمة الإسلامية و أقوائها - الذين بوسعهم فعل شيء - كلام و عمل يدل على الانحطاط فسيكون ذلك إهانة للإسلام في أعين الناس في العالم. لذا فإن واجب الساسة المسلمين اليوم جسمية جداً، و واجبات علماء الإسلام ثقيلة للغاية، و وظائف المست Sherif و الفنانين و الكتاب و الأدباء المسلمين هائلة بشكل كبير، و واجبات كل واحد من أبناء الإسلام في البلدان الإسلامية يمكنه التأثير في البيئة التي تحيطه، ثقيلة بجد. اليوم يوم يمكن فيه رفع رسالة الإسلام أمام العالم و أمام الإنسانية المظلومة و الإنسان الحائر، و القول: هذا هو سبيل بحاتكم.. هذه حقائق.^١

خلاصة سيرة النبي الأكرم (ص) في الأعوام العشرة لحكومة في المدينة المنورة

خصصت الخطبة الأولى لشرح مختصر لسيرة النبي الأكرم (ص) في فترة حكومته الإسلامية في المدينة المنورة التي استمرت عشرة أعوام، وهي من أعظم - و لا نغالي إذا قلنا إنها أعظم - فترات الحكم على مر التاريخ الإنساني. يجب معرفة هذه الفترة القصيرة و الزاخرة و الشرة و المؤثرة تأثيراً خارقاً في التاريخ البشري. طبعاً، أوصي بكل الإحارة و الأحواف - و خصوصاً الشباب - أن يراجعوا تاريخ حياة النبي الكريم (ص) و يقرؤه و يتعمدوه.

فترة المدينة المنورة هي الفصل الثاني من فترة الأعوام الثلاثة و العشرين لرسالة النبي الأكرم (ص). الفصل الأول هو ثلاثة عشر عاماً في مكة - و الذي يعد مقدمة الفصل الثاني - و هناك عشرة أعوام فترة المدينة المنورة و هي مدة إرساء دعائم النظام الإسلامي و بناء نموذج لسيادة الإسلام لكل العصور و الأزمنة و الأماكن في التاريخ الإنساني. هذا النموذج هو بالطبع نموذج كامل، و لا يمكن أن يجد له مثيلاً في أي من

1. من كلماته في لقاء المدراء و المسؤولين في الجمهورية الإسلامية الإيرانية و سفراء البلدان الإسلامية في ذكرى المبعث النبوى الشريف، بتاريخ ٢٥/١٠/٢٠٠٠ م.

العصور الأخرى، ولكن بالنظر لهذا النموذج الكامل يمكن معرفة المعايير والملاكيات. وتمثل هذه المعايير بالنسبة لأبناء البشر وال المسلمين علامات و مؤشرات يستطيعون الاستعانة بها لتقدير أنظمة الحكم والناس. كان هدف النبي الأعظم (ص) من المجرة إلى المدينة هو الكفاح ضد البيئة السياسية والاقتصادية والاجتماعية الظلمة الطاغوتية الفاسدة التي سادت في كل أنحاء العالم، ولم يكن المدف يقتصر على كفاح الكفار في المكّة، إنما كانت القضية قضية عالمية. وقد تابع رسول الله (ص) هذا المدف، وأين ما كانت الظروف مواتية ثر بنور الأفكار والعقائد الإسلامية، على أمل أن يحيىن الوقت المناسب لانباث هذه البذور و ظهورها. كان المدف إيصال رسالة حرية الإنسان و صحوته و سعادته لكل القلوب. وهذا لم يكن ممكناً إلا بتأسيس نظام نموذجي. لذلك وفد الرسول الأكرم (ص) إلى المدينة ليؤسس هذا النظام. أما كم سيستطيع التالون له مواصلته و الاقتراب منه فهذا أمر يعود لعلوه همهم. الرسول الأكرم (ص) يقدم النموذج و يعرضه على كل البشرية و التاريخ.

**سبع مميزات
رئيسية للنظام
الإسلامي الذي
أسسه الرسول
الأكرم (ص)**

النظام الذي أسسه الرسول الأكرم (ص) له الكثير من الخصائص والمميزات، تلوح من بينها سبع مميزات مهمة:

الميزة الأولى هي الإيمان و الروح المعنوية. المحفز و الدافع المحرّك الحقيقي للنظام النبوي هو الإيمان الذي ينبع من معين قلوب الناس و أفكارهم، و يأخذ بأيديهم و سواعدهم و وجودهم نحو الاتجاه الصحيح. إذن الخصيصة الأولى هي بث و تعزيز روح الإيمان و المعنوية و نشر الاعتقاد و الأفكار الصحيح بين الناس، و هذا ما بدأه الرسول الأكرم (ص) من مكّة، و رفع رايته باقدار في المدينة المنورة.

و الميزة الثانية هي القسط و العدل. أساس الأمر قائم على العدالة و القسط، و إيصال كل حق لصاحبه دون أية ملاحظات و اعتبارات.

الميزة الثالثة هي العلم و المعرفة. كل شيء في النظام النبوي قائم على العلم و المعرفة و الوعي و الصحة. لا يأخذون أحداً إلى اتجاه و هو مغمض العينين. إنما ييدلون

الأفراد إلى طاقات فعالة – و ليست منفعلة – بالوعي و المعرفة و القدرة على التشخيص.

الميزة الرابعة هي الصفاء و الأخوة. النزاعات الناجمة عن الدوافع الخرافية و الشخصية و النفعية و الانتهازية مبغوضة كريهة في النظام النبوي، و النظام النبوي يحاربها و يرفضها. إنما الأجواء هناك أجواء صميمية و أخوة و تعاطف و وئام.

و الميزة الخامسة هي الصالح الأخلاقي و السلوكي. إنه نظام ينادي الناس و يطهّرهم من المفاسد و الرذائل الأخلاقية. يصنع إنساناً حلوّين ذوي ترکية و طهر.. «و يناديهم و يعلمهم الكتاب و الحكمة». ^١ الترکية من الأركان الأساسية، يعني أن الرسول الأكرم (ص) كان يمارس العمل التربوي على كل الأفراد و الشخصوص.

الميزة السادسة هي الاقتدار و العزة. ليس المجتمع و النظام النبوي نظاماً خانعاً عمياً تابعاً يمدّ يد الحاجة لهذا و ذاك، بل هو نظام عزيز مقتدر يتخذ قراراته بنفسه، و حين يعرف صلاحه يعمل لتأمينه و يقوم بما يجب عليه من أجل تحقيقه.

و الميزة السابعة هي العمل و التحرّك و التقدم الدائمي. لا توقف في النظام النبوي. ثمة دائماً تحرك و عمل و تقدم و نشاط. لا يحدث في وقت من الأوقات أن يقال في هذا النظام: لقد انتهى الأمر، و يجب أن نستريح بعد الآن! لا يوجد مثل هذا الشيء في هذا النظام. طبعاً هذا العمل عمل لنزيد و مبهج، و ليس عملاً متعباً أو ملأ أو رتيباً. إنه عمل يمارسه الإنسان بنشاط و شوق و اندفاع.

دخل رسول الله (ص) إلى المدينة ليؤسس هذا النظام و يكمّله و يتركه نموذجاً أبداً عبر التاريخ، ليقيم كل من استطاع و على مرّ التاريخ – أي من بعد زمانه و إلى يوم القيامة – ما يشبهه و يبت الشوق و التطلع في القلوب حتى يسير الناس صوب مثل هذا المجتمع. طبعاً تأسيس مثل هذا النظام يحتاج إلى أسس عقائدية و إنسانية. أولاً يجب أن تتوفر عقائد و أفكار صحيحة لينهض هذا النظام عليها. كان الرسول الأكرم (ص) قد بين هذه الأفكار و العقائد في إطار التوحيد و العزة الإنسانية و سائر المعارف

١. سورة الجمعة، الآية ٢.

الإسلامية طوال ثالث عشرة سنة في مكة المكرمة، ثم واصل في المدينة المنورة في كل آنٍ ولحظة و إلى حين وفاته تبيّن وعرض هذه الأفكار والمعارف السامية – وهي أسس هذا النظام – للناس وعلمهم وأفهمهم إياها. ثانياً لا بد من أسس وأركان إنسانية لينهض هذا البناء عليها – فالنظام الإسلامي لا يقوم على الفرد – و قد أوجد الرسول الأكرم (ص) وأعد الكثير من هذه الأركان في مكة المكرمة. البعض كانوا من أصحاب الرسول الأجلاء – على اختلاف مراتبهم – وهم ثمرة جهود النبي الكريم ومساعيه و الجهاد طوال فترة الأعوام الثلاثة عشر في مكة المكرمة. و البعض كانوا أشخاصاً تعرّفوا على الرسالة الإسلامية في يشرب قبل هجرة الرسول إليها، وهم أشخاص من قبيل سعد بن معاذ و أبي أيوب وغيرهم. و بعد أن وصل الرسول (ص) إلى المدينة بدأ صناعة الإنسان من اللحظة الأولى، و شيئاً فشيئاً دخل المدينة مدراء أكفاء وأشخاص عظام شجعان ذوو صفح و إيمان و قوة و معرفة فكانوا أركان هذا الصرح الشامخ الرفيع وأسسها المتينة.

كانت هجرة الرسول الأكرم (ص) للمدينة – التي كانت تسمى قبل دخول الرسول إليها يثرب، و بعد أن جاءها سميت مدينة النبي – كالرسيم الريعي العليل الذي انتشر في أجواء هذه المدينة، و شعر الجميع بالفرح والراحة والانشراح لدخوله لها، لذلك تنهت القلوب و صحت. حين سمع الناس أن الرسول دخل قبا – و قبا بالقرب من المدينة، و قد بقي الرسول الأكرم (ص) هناك خمسة عشر يوماً – كانت أشواق أهالي المدينة لرؤيته تتضاعد يوماً بعد يوم. توجه بعض الناس لقبا و زاروا النبي الأكرم (ص) وعادوا. و البعض انتظر في المدينة إلى أن يدخلها. و حين دخل الرسول المدينة بعد ذلك، تحول الشوق و النسيم اللطيف الحفيف إلى طوفان في قلوب الناس فغيرها. فجأة شعروا أن عقائدهم السابقة و عواطفهم و اتماءاتهم و ارتباطهم و عصبياتهم القبلية السابقة زالت أمام وجه هذا الرجل و سلوكه، و قد افتتحت أمامهم بوابة جديدة نحو حقائق عالم الخلقة و المعارف الأخلاقية. و كان هذا الطوفان قد صنع أولاً ثورة في القلوب ثم اتسع و امتد إلى أطراف المدينة، ثم احتلَّ القلعة الطبيعية في مكة، ثم امتدّ

لأماكن بعيدة و تقدم إلى أعماق الامبراطوريتين و البلدين الكبارين في ذلك الحين. وقد هرّ القلوب وأوجد ثورة في النفوس أين ما سار. لقد فتح المسلمون في صدر الإسلام إيران و الروم بقوة الإيمان. و الشعوب التي تعرضت للهجوم مجرد أن رأتهم كان هذا الإيمان ينتقل لقلوبهم. و السيف كان من أجل رفع الموانع و حكام العسف و المال عن الطريق، و إلا فإن عموم الناس كانوا قد رجعوا بهذا المد، و غدت الامبراطوريات العظيمتان آنذاك – أي الروم و إيران – جزءاً من ذلك النظام و البلد الإسلامي من الأعماق. استمر كل هذا لمدة أربعين سنة، عشرة أعوام في زمن حياة الرسول الأكرم، و ثلاثون سنة بعد رحيله (ص).

دروس عديدة من سيرة الرسول (ص) خلال فترة حكمه في المدينة

مجرد أن دخل الرسول الأكرم (ص) إلى المدينة بدأ العمل و الجد. و من جملة عجائب حياته (ص) هو أنه لم يهدى حتى لحظة واحدة أو يفرط بها طوال هذه الأعوام العشرة. لم يلاحظ أبداً أن الرسول انقطع عن بث الأنوار و الروح المعنية و المدعاية و التعليم و التربية. صحوه و نومه و مسجده و بيته و ساحة حرمه و زفافه و سوقه و معاشرته العائلية و وجوده كانت كلها دروساً أين ما حلّ أو ارتحل. يا لها من بركة في هذا العمر! الشخص الذي احتل بفكره التاريخ كله و أثر عليه – و قد قلل مراراً أن الكثير من المفاهيم التي راحت الإنسانية تقدسها لقرون من الزمان نظر مفهوم المساواة و الأخوة و العدالة و الحرية و حكم الشعب، كلها تأثرت بتعاليمه، و لم يكن مثل ذلك الشيء في تعاليم سائر الأديان، أو إنما لم تظهر إلى النور على الأقل – لم يمارس العمل الحكومي و السياسي و الجماعي سوى عشرة أعوام. يا له من عمر مبارك! لقد اتخذ موافقه منذ بداية دخوله للمدينة.

الناقة التي كانت تحمل الرسول الأكرم (ص) دخلت مدينة يشرب و أحاط بها الناس. و قد كانت يشرب في ذلك الحين موزعة إلى محلات و أحيا، و في كل حيّ بيوت و أزفة و أسوار و شخصيات بارزة، و كانت فيها قبائل بعضها من الأوس و بعضها من الخزرج. حين دخلت ناقة النبي مدينة يشرب ما مرت بقلعة من قلائع القبائل

إلا و خرج أكابر القوم و منعوا الناقة عن المسير قائلين: يا رسول الله.. تعال هنا و أنزل علينا و لك بيوتنا و حياتنا و ثروتنا و راحتنا. فقال النبي: لا تصدّوا طريق الناقة، فإنها مأمورة. أي إنها تسير بأمر يوجه لها، دعوها تواصل طريقها. ففتحوا الطريق أمام الناقة و سارت إلى الحي التالي، فهبت أكابر القوم و أشرافهم و شيوخهم و شخصياتهم و شبابهم أمام الناقة و قالوا: يا رسول الله.. إنزل هنا فهذا بيتك و لك كل ما تشاء و كلنا في خدمتك. فقال لهم أيضاً: دعوا الناقة تواصل مسيرها فإنها مأمورة. و هكذا سارت الناقة حياً حياً إلى أن وصلت حيّ بنى النجار، و منهم والدة الرسول (ص)، و هم يعلّون بالتالي أخوال الرسول، فتقدّموا و قالوا: يا رسول الله نحن أقرباؤك و كل ما لدينا لك فانزل في بيتك. فقال: لا، إنها مأمورة، فأفسحوا لها الطريق. ففتحوا لها الطريق. و وصلت الناقة السير إلى أفق أحياء المدينة و جلست في مكان ما. و نظر الجميع ليروا بجانب بيت من بركت الناقة، فوجدوا أنه بيت أبي أبي الأنصاري، أفق أو أحد أفق الناس في المدينة. جاء هو و عائلته الفقيرة فأخذوا ماتع النبي و أدخلوه بيتهما. و دخل الرسول بيتهما كضيف، و رفض ضيافة الأعيان و الأشراف و المتنفذين و رؤساء القبائل و أمثلهم، بمعنى أنه حدد موقفه الاجتماعي، و تبيّن أن هذا الشخص غير مرغوب للعمال و المكانة القبلية و شرف الرئاسة في تلك القبيلة أو أولئك القوم و العائلة أو الناس الانتهازيين.

منذ الساعة الأولى حدد الرسول الأكرم (ص) موقفه و تعامله الاجتماعي و أنه منحاز لأية جماعة و طرف، و لأية فئة سيكون وجوده أنفع و أكثر خيراً و بركة. الكل كانوا يتذمرون من الرسول و تعاليمه، و لكن المحروم أكثر سيتفق بطبيعة الحال أكثر و لا بد من تعويض حرمانه. أمّا بيت أبي أبي الأنصاري كانت هناك أرض. فقال من هذه الأرض؟ قال له إنها لبيتدين اثنين. فدفع مالاً من عنده و اشتري هذه الأرض، و قال نبني في هذه الأرض مسجداً، أي مركزاً سياسياً و عبادياً و اجتماعياً و حكومياً، بمعنى مركز لاجتماع الناس. كان لا بدّ من مكان يعده مركزاً و قطباً. لذلك بدأوا ببناء المسجد. لم يطلب أرض المسجد من أحد يهبه لها، إنما اشتراها بماله. و مع أن ذلكم

الطفلين لم يكن لهما أب يدافع عنهما، لكن الرسول دفع لهما حقهما كاملاً تماماً و كأنه أبوهما و المدافع عنهما. حين تقرر أن يبنوا مسجداً كان الرسول (ص) أول أو من أوائل من هتوا وأمسك المعلول بيده و شرع بحفر أساس المسجد، و لم يكن فعله هذا عملاً تشريفياً إنما بدأ بالعمل حقاً و عمل بعرق جبينه. عمل بطريقة قال معها بعض الذين كانوا جالسين جانباً: أجلس و رسول الله يعمل هكذا؟! بل نذهب و نعمل نحن أيضاً. لذا جاءوا و شيدوا المسجد خلال مدة قصيرة. لقد أثبتت الرسول – هذا القائد المقتدر الرفيع – أنه لا يرى لنفسه أي حق خاص مميز. إذا تقرر القيام بعمل معين فيجب أن يكون له نصيبه منه و من جهوده.

**الفطنة و التدبير
الدقيق في
الأداء السياسي
للرسول الأكرم
(ص)**

ثم خططت لتدبير هذا النظام و سياساته و إدارته. حين ينظر المرء و يرى أنه (ص) تقدم و عمل خطوة خطوة و بشكل ذكي و مدبر يدرك أية أفكار و حسابات دقيقة كانت وراء تلك العزيمة و التصميم القاطع الحاسم، و التي لا يمكن حسب الظاهر أن تكون إلا بفضل الوحي الإلهي. و اليوم أيضاً من يريد متابعة تلك الأوضاع التي جرت على مدى عشرة أعوام خطوة بخطوة، لما أدرك شيئاً. لو حسب الإنسان حساب كل واقعة بشكل منفصل لما أدرك شيئاً.. يجب أن ينظر و يرى ما هو ترتيب الأمور، و كيف جرت كل هذه الأمور و الأعمال بتدبير ووعي و حسابات صحيحة.

أولاًً كان هناك مشروع إيجاد الوحدة. لم يكن كل أهل المدينة قد دخلوا في الدين الإسلامي. دخل أكثرهم في الإسلام و بقي عدد قليل جداً غير مسلمين. بالإضافة إلى ذلك كانت هناك ثلث قبائل مهمة من اليهود تسكن المدينة هم قبيلةبني قينقاع، و قبيلةبني النضير، و قبيلةبني قريطة. كانت لهم قلاعهم الخاصة المتتصقة تقريباً بالمدينة. يعود نزوحهم للمدينة المنورة إلى ما قبل مائة عام أو مائتي عام من ذلك التاريخ، و سبب مجئهم ليشرب بحد ذاته له حكاية طويلة مفصلة. يوم دخل الرسول الأكرم (ص) المدينة كان اليهود فيها يمتازون ببعض الخصوصيات: أولاًً كانت في أيديهم الشروة الأصلية في المدينة، و أفضل المزارع و أفضل التجارة و أكثر الصناعات رحاحاً، من قبيل

صناعة الذهب والجوادر و ما إلى ذلك. وكان معظم أهالي المدينة يرجعون لهم في حالات العوز وال الحاجة، فيقتضون المال و يدفعون الربا. أي إن الكل كانوا مدينين و تابعين لليهود من الناحية المالية. و السمة الثانية هي تفوقهم الثقافي على أهل المدينة. فقد كانوا من أهل الكتاب و بالتالي لهم معارف دينية و فكرية متنوعة بعيدة جداً عن الذهنية نصف الوحشية السائدة في يثرب. لذا فهم كانوا مهيمنين فكريًا.

و الواقع إننا لو أردنا التحدث بلغة العصر لقلنا إن اليهود في المدينة كانوا طبقة مثقفة مستنيرة، لذلك كانوا يحتمقون الناس هناك و يستهينون و يستهزئون بهم. طبعاً حين تداهمهم الأخطار و يضطرون للتواضع و الصغار كانوا يفعلون ذلك، لكنهم كانوا متفوقين بشكل طبيعي. و الخصوصية الثالثة هي إنهم كانوا على ارتباط بالأماكن البعيدة، أي لم يكن فضاً لهم الحيوي في حدود المدينة فقط. كان اليهود واقعاً في المدينة المنورة، لذلك يجب على الرسول الأكرم أن يحسب لهم حساباً. و قد أوجد (ص) ميثاقاً جماعياً عاماً. حين دخل إلى المدينة، تبيّن أن قيادة المجتمع هي لهذا الرجل، من دون وجود عقد على ذلك و من دون أن يطلب ذلك من الناس، و بدون أن يكون الناس قد تفاوضوا في هذا الشأن. يمعنى أن الشخصية و العظمة النبوية أحضعت الجميع أمامه بشكل طبيعي، و تجلّى أنه هو القائد و يجب على الجميع التحرّك حول محور ما يقوله. كتب الرسول الأعظم (ص) ميثاقاً وافقه و رضي به الجميع. إنه ميثاق حول التعامل الاجتماعي و المعاملات و التزاعات و الديات و علاقات الرسول بمعارضيه و باليهود و غير المسلمين. كتب كل هذا و تم تسجيله، و كان شيئاً مفصلاً مستوعباً يستغرق نحو صفحتين أو ثلث صفحات كبيرة من كتب التاريخ القديمة.

و الخطوة التالية المهمة جداً هي إيجاد الأخوة. التزعة الأشرافية و التعصبات الخرافية و الغرور القبلي و البون بين الشرائح المتعددة من الناس أخطر البالايا التي تصيب المجتمعات المتعصبة الجاهلية العربية يومذاك. فأعلن رسول الإسلام (ص) الأخوة و سحق كل تلك الأمراض بقدميه. أوجد أخوة بين رئيس القبيلة الفلاحية و بين شخص عادي جداً أو متوسط. و قال إنكم أخوان، و قد قبلوا هذه الأخوة بكل رغبة. وضع

الأشراف والأكابر إلى جانب العبيد المسلمين والمعتوقين، و إزال بذلك كل عقبات الوحدة الاجتماعية. حين أرادوا اختيار مؤذن للمسجد كان أصحاب الأصوات الجميلة وأشكال الجميلة كثاراً، و هناك العديد من المعروفين والشخصيات المبارزة، لكنه اختار من بينهم جميعاً بلال الحبشي.. لا جمال له و لا صوت و لا شرفاً عائلياً و لا أباً و لا أمّاً من المعروفين المشاهير. لم يكن لهم إلا الإسلام والإيمان والجهاد في سبيل الله وإبداء التضحية في هذا السبيل. و هذا هو الملك. لاحظوا كيف أُعلن عن القيم بطريقة عملية. أثر عمله و سيرته و نجحه في القلوب، قبل أن يؤثر كلامه في القلوب. و من أجل أن يتم هذا الأمر و يستقر كأن لا بدّ من المرور بثلاث مراحل: المرحلة الأولى إرساء دعائم النظام والتأسيس له، و هو ما تم بهذه الأعمال. و المرحلة الثانية حراسة هذا النظام و حمايته. الكائن الحي الآخذ بالرشد و النمو الذي لو علم به كل أصحاب القوة و السلطان لشعروا بالخطر منه، له أعداؤه طبعاً. و إذا لم يستطع الرسول الأكرم (ص) حماية هذا الوليد الجديد المبارك بوعي و فطنة مقابل أعدائه، فإنه سوف يزول و تذهب كل جهوده هباءً. لذلك لا بدّ من حمايته. و المرحلة الثالثة هي استكمال البناء و ترميمه. إرساء الدعائم و الأسس ليس كافياً. فهذه هي الخطوة الأولى. هذه الأعمال الثلاثة تحصل و تتم إلى جانب بعضها. أولًا إرساء الدعائم و الأسس، ولكن في أثناء عملية التأسيس نفسها أخذ الأعداء بنظر الاعتبار، و استمرت عمليات الحماية بعد ذلك أيضاً. و في عملية إرساء الدعائم نفسها جرى الاهتمام بالأشخاص والبني الاجتماعية، و استمرت هذه الحالة بعد ذلك أيضاً.

**خمسة أعداء
أصليين هددوا
المجتمع
الإسلامي في
عصر النبي
(ص)**

نظر النبي فوجد خمسة أعداء أصليين يهددون هذا المجتمع الفتى الجديد: العدو الأول عدو صغير قليل الأهمية، ولكن يجب في الوقت ذاته عدم الغفلة عنه، فقد يخلق على حين غرة أخطاراً كبيرة. من هو هذا العدو؟ إنه القبائل نصف المتواحشة المحيطة بالمدينة. كان هناك على بعد عشرة فراسخ أو خمسة عشر فرسخاً أو عشرين فرسخاً من المدينة المنورة قبائل نصف متواحشة كل حياتها حروب و دماء و غارات و نزاعات و نخب في ما بينها. إذا أراد الرسول الأكرم (ص) إقامة نظام اجتماعي سليم و موثوق و هادئ في المدينة، فيجب أن يحسب لهؤلاء حسابهم. فـالرسول الأعظم (ص) بهؤلاء، و عقد المعاهدات مع آية قبيلة منهم وجد فيها علامات الصلاح و المداية، و لم يقل لهم منذ البداية يجب أن تدخلوا في الإسلام. لا.. بل كانوا كفاراً و مشركين. لكنه عقد معاهدات معهم لكي لا يهجموا و يتطاولوا. و كان النبي الأكرم (ص) شديد الإصرار على عهوده و صارم الالتزام بها، و سوف أتطرق لهذا الجانب لاحقاً. أما الأشرار و غير المؤتمنين منهم فقد عاجلهم النبي بنفسه و سار إليهم. و السرايا التي سمعتم أن النبي بعث خمسين شخصاً لتلك القبيلة و عشرين رجلاً لتلك القبيلة، حالة تتعلق بهؤلاء الذين كانوا ذوي طباع لا تقبل المداوة و المداية و الإصلاح، و لا يمكنهم العيش إلا بسفك الدماء و القوة. لذا سار النبي إليهم و أشتاد معهم و أرجمهم حدودهم.

**٢ - الأشراف
المستكبرون
الحاكمون في
مكة**

العدو الثاني هو مكة التي كان لها مركزية وكانت قطباً مهماً. صحيح أنه لم تكن في مكة حكومة بالمعنى الدارج للكلمة، ولكن كان فيها جماعة من الأشراف المستكبرين المقتدرین المستفدين يحكمون عملياً فيها. وقد كانت لهم خلافاتهم في ما بينهم، لكنهم اتحدوا مقابل هذا الوليد الجديد. و كان الرسول الأكرم (ص) يعلم أن الخطر الأفصح والأهم يأتي من هؤلاء، و هذا ما حصل عملياً. شعر النبي أنه لو قعد حتى يأتيه هؤلاء فسوف يمنحهم الفرصة، لذلك سار إليهم، لكنه لم يسر نحو مكة. إنما هاجم طريق قافتلتهم التي تمر بالقرب من مكة، فكانت حرب بدر أهم هجوم في بداية

الأمر. بدأ النبي الأكرم (ص) هجوماته، وقابله بالحرب بكل عصبية وتشدد وجلادة. واستمر الوضع على هذه الحال نحو من أربعة أو خمسة أعوام. أي إن الرسول الأكرم (ص) لم يكن ليترکهم حالهم، وكانوا هم في المقابل يأملون أن يجثروا جذور هذا الوليد الجديد أي النظام الإسلامي الذي يشعرون بالخطر منه. معركة أحد والمعارك الأخرى التي وقعت كانت على هذه الخلفية.

المعركة الأحيرة التي ساروا فيها نحو الرسول كانت معركة الخندق و هي من المعارك المهمة جداً. جمعوا كل قواهم و استعنوا بالآخرين و قالوا نسير إليه و نقتل مائتين أو ثلاثة أو خمسة من أصحابه المقربين و ننهب المدينة و نعود سالبين غافلين مطمئنين، و لن تبقي لهم باقية أو آثار. و قبل أن يصلوا للمدينة اطلع النبي على نوایاهم و تحركهم و حفر الخندق المعروف. أحد أطراف المدينة كان هشاً ممكناً النفوذ منه، لذلك حفروا هناك خندقاً بعرض أربعين متراً تقريباً. و كان الشهر شهر رمضان. و حسب بعض الروايات فقد كان الجو بارداً جداً. و لم تكن هناك أمطار في ذلك العام و لم يحصل الناس على عائدات و محاصيل جيدة. لذلك كانت المشكلات كثيرة. و قد عمل النبي نفسه أشد و أكثر من الكل. أين ما شاهد شخصاً تعب و عطل و لا يستطيعمواصلة العمل في حفر الخندق كان الرسول يأخذ المعول منه و يعمل. أي إنه لم يكن يشارك بأوامره و دساتيره فقط، بل كان يشارك بجسمه و كده وسط جموع الناس. و وصل الكفار مقابل الخندق فشاهدوا أنفسهم لا يستطيعون اجتيازه، لذلك اضطروا للعودة مهزومين مفضوحين يائسين مخفقين. فقال النبي: انتهى الأمر، هذه ستكون آخر هجمة لقريش مكة علينا. من الآن فصاعداً سيكون الدور لنا، و سوف نهاجمهم نحن و هم في مكة.

في السنة التالية قال الرسول الأكرم (ص) إننا نزيد الذهاب للعمرمة، فوسمت حداثة الحديبية و هي من الأحداث ذات المعانى العميقية الكبيرة. سار النبي إلى مكة بقصد العمرة. و شاهد المشركون أن النبي قادم إلى مكة في الشهر الحرام الذي لا حرب ولا قتال فيه و هم يحترمون الأشهر الحرم. فما يفعلون؟ هل يفتحون له الطريق ليدخل؟ و

ما سيصنعون مع مثل هذا النصر الذي سيتحقق، وكيف يمكنهم الحصول دونه والتصدي له؟ هل يسيرون لحربه في الشهر الحرام؟ كيف يقاتلون؟ و أخيراً قرروا أن يسيروا و يحولوا دون دخوله لمكة، وإذا واتهمم الذريعة ارتكبوا مذبحة ضد المسلمين. و دبر الرسول الأعظم (ص) أفضل وأرقى تدبير اضطراهم للجلوس معه و توقيع معاهدة معه ليعود، على أن يأتي السنة القادمة لأداء العمرة، و انفتحت الأجواء في كل المنطقة للإعلام والتبلیغ التبوي. اسمه صلح، لكن الله تعالى يقول في القرآن الكريم: «إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً». ^١ لو راجع المراجعون المصادر التاريخية الصحيحة المعترفة للاحتظوا كم كانت قضية صلح الخديبية عجيبة. توجه الرسول الأكرم (ص) العام المقبل إلى العمرة و ازدادت شوكته و قوته على الرغم منهم يوماً بعد يوم. و في السنة التالية – أي في السنة الثامنة للهجرة – حين نقض الكفار عهودهم سار النبي و فتح مكة، و كان فتحاً عظيماً ينمّ عن اقتداره و سيطرة حكومته. و عليه، تصرف الرسول مع هذا العدو أيضاً بتدبير و اقتدار و صبر و أناة و من دون اضطراب و تسريع، بل بخطوة إلى الوراء ليسير يوماً بعد يوم و خطوة خطوة إلى الأمام.

٣ - القبائل اليهودية الثلاث

العدو الثالث هو اليهود. أي الأجانب غير المؤتمنين الذين رضوا موقتاً بمعايشة الرسول (ص) في المدينة المنورة، لكنهم لم يكونوا يقلعون عن الإيذاء والإخلال و التخريب. و لو نظرنا لوحدها أن جزءاً كبيراً من سورة البقرة و بعض الأجزاء من سور قرآنية أخرى تتعلق بالكفاح الثنائي للرسول ضد اليهود، فقد ذكرنا إنهم كانوا أناساً أصحاب ثقافة، و لهم وعيهم و معارفهم، و كانوا يؤثرون تأثيراً كبيراً على أذهان ضعفاء الإيمان، و يتآمرون و يثنون اليأس في نفوس الناس و يشعلون النزاعات بينهم. لقد كانوا عدواً منظماً لرسول الله (ص) و الإسلام. و قد عمل الرسول معهم بالمداراة ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، و لكن حين شاهد بعد ذلك أن المداراة لا تنفع معهم عاقبهم. و لم يسر الرسول نحوهم دون مقدمات أو مسوّغات. كل واحدة من هذه القبائل الثلاث

١. سورة الفتح، الآية ١.

قامت بشيء فعاقبهم الرسول حسب أعمالهم. في البداية خانه بنو قينقاع فسار إليهم الرسول و قال يجب أن تغادروا هذا المكان فنحزوا و طردهم الرسول و بقيت كل إمكانياتكم لل المسلمين. و الفئة الثانية هم بنو النضير خانوه أيضاً – و قصة خيانتهم مهمة في التاريخ – فقال لهم الرسول (ص) خذلوا مقداراً من متابعكم و غادروا فاضطروا للخلافة و المغادرة. و الطائفة الثالثة هم بنو قريظة الذين سمح الرسول لهم بالبقاء و أعطائهم الأمان و لم يطردهم، و أبى معهم عهداً لكي لا يسمحوا للعدو في معركة الخندق بالدخول إلى المدينة من أحياائهم، لكنهم تصرفوا بدئنة و تآمروا مع العدو ليهاجوا الرسول إلى جانب المشركين! أي إنهم لم ينكحوا عهدهم مع الرسول و حسب، و إنما في حين حفر الرسول خندقاً حول جزء من المدينة كان هشاً يقبل التغلغل منه، و كانت أحياائهم في جانب آخر و كان لا بد أن يمنعوا العدو من الدخول للمدينة عن طريق أحياائهم، ذهبوا و تفاوضوا مع العدو ليدخل العدو و هم معه بالاشتراك من ذلك الجانب و يطعنوا النبي و جماعته من الخلف خدراً! و علم الرسول بمأامرهم عندما حصلت.

استمر حصار المدينة نحو شهر، و قد خانوا الرسول (ص) في أواسط هذا الشهر. و علم الرسول بالأمر و بقرارهم هذا. و دبر تدبيراً جد ذكي ليوقع بينهم و بين قريش – و قد كتبوا تفاصيل ذلك في التاريخ – و عمل ما من شأنه أن تزول الثقة بينهم و بين قريش. وكانت من حيل الحرب السياسية الرائعة جداً من قبل الرسول. أي إنه شلهم هناك لكي لا يستطيعوا توجيه ضربة له. و بعد ذلك حين هزمت قريش و حلفاؤها و غادروا الخندق و عادوا إلى مكة، عاد الرسول إلى المدينة. و صلى صلاة الظهر في نفس اليوم الذي عاد فيه، و قال نصلي العصر أمام قلاع بني قريظة، فسيروا إلى هناك. أي إنه لم يتضر حتى ليلة واحدة. فسار إليهم و حاصرهم. و استمر الحصار و النزاع خمسة و عشرين يوماً. بعدها قتل الرسول كل رجالهم المحاربين، لأن خيانتهم كانت أكبر و لم تكن تتقبل الإصلاح. هكذا تعامل الرسول معهم. أي إنه دفع عن المسلمين خطر اليهود – في حادثة بني قريظة أساساً و قبلها في حادثة بني النضير و

بعدها في حادثة يهود خيبر – بهذه التدابير و القدرة و المتابعة و بالأخلاق الإنسانية السامية. و لم ينقض الرسول عهوده في أيّ من هذه الحوادث، و هذا ما يوافقه حتى أعداء الإسلام بأن الرسول الأكرم (ص) لم ينقض أي عهد من عهوده في هذه الأحداث، إنما كانوا هم الذين نقضوا العهود.

٤ – المنافقون

العدو الرابع هم المنافقون. المنافقون كانوا مبتوئين بين الناس و المسلمين. إنهم أناس آمنوا بآمنتهم لكنهم غير مؤمنين في بواطتهم و قلوبهم، و كانوا أناساً منحطين معاندين ضيقى النظر و مستعدين للتعاون مع العدو، لكنهم غير منظمين. و هذا هو فرقهم عن اليهود. يتعامل الرسول مع العدو المنظم المستعد للهجوم و الجاهر لتوجيه الضربات كما تعامل مع اليهود، و لا يعطيهم الفرصة و الأمان، أما العدو غير المنظم، حتى لو كانت له بحاجاته و عداواته و خباتاته الفردية، فيتحمّله. كان عبد الله بن أبي من أعدى أعداء الرسول (ص). و قد بقي على قيد الحياة إلى حدود العام الأخير من حياة الرسول، لكن النبي الأكرم لم يعامله معاملة سيئة. هذا في حين أن الجميع كانوا يعلمون أنه منافق، لكنه تعامل معه باللماشاة و تصرف معه كباقي المسلمين، و منه سهمه من بيت المال، و حفظ له أمنه و حرمته. هذا مع أنه مارس ما مارس من الإساءات و الخبث، و هناك فصل من سورة البقرة يتحدث عن هؤلاء المنافقين. و حين قام عدد من هؤلاء المنافقين بأعمال منتظمة سار إليهم الرسول. في قضية مسجد ضرار أقام المنافقون مركزاً لهم، و شكلوا علاقات مع خارج النظام الإسلامي – أي مع من كان في منطقة الروم، مثل أبي عامر الراهب – و مهدوا الأمور لتحرك جيش من الروم ضد الرسول. هنا تحرك الرسول ضدهم و هدم المسجد الذي بنوه و أحرقه. و قال إن هذا المسجد ليس بمسجد بل هو مركز تامر على المسجد و على الله و على الناس. أو عندما أظهر بعض المنافقين كفرهم و خرجوا من المدينة و أعدوا جيشاً في مكان من الأمكنة، حاربهم الرسول و قال إذا اقتربوا منا سرنا إليهم و قاتلناهم، هذا مع أن المنافقين كانوا داخل المدينة أيضاً و لم يكن النبي (ص) يتعرض لهم. و عليه، كان له

موقف حاسم منظم مع الفئة الثالثة، لكنه تعامل بطريقة مزنة لينتهي مع الفئة الرابعة، لأنهم لم يكونوا منظمين و أخطارهم أحاط بهم فردية. وكثيراً ما كان الرسول (ص) يُحملهم بسلوكه.

٥ - العدو الداخلي .. الميول النفسية نحو الانحراف و الصالل

أما العدو الخامس فهو عدو يعشوش في داخل كل واحد من المسلمين و المؤمنين. و هو أخطر من كل الأعداء الآخرين. إنه عدو موجود في داخلنا نحن أيضاً. إنه الميول النفسية والأهواء و التزوات و الأنانيات و الميل للانحراف و النزوع للانحراف و المزالق التي يمهّد الإنسان نفسه للأرضية لها. و قد حارب الرسول (ص) هذا العدو أيضاً حرباً لا هادلة فيها. ييد أن محاربة هذا العدو لا تكون بالسيف، بل هي بالتربية و التزكية و التعليم و الإنذار. لذلك حين عاد المسلمون من إحدى الحروب بعد كثیر من الجهد و التعب، قال لهم الرسول الأكرم (ص): عدم من الجهاد الأصغر و بقي عليكم الجهاد الأكبر. عجيب..! يا رسول الله، و ما الجهاد الأكبر؟! لقد خضنا جهاداً بهذه العضمة و المتاعب، أو هناك جهاد أكبر من هذا الجهاد؟! فقال لهم الرسول: نعم، إنه جهاد أنفسكم. حين يقول القرآن الكريم: «الذين في قلوبهم مرض»^١، لا يريد بهم المنافقين. طبعاً بعض المنافقين هم أيضاً من في قلوبهم مرض، و لكن ليس كل من في قلبه مرض يمكن أن يقال إنه من المنافقين. قد يكون مؤمناً و لكن في قلبه مرض. ما معنى هذا المرض؟ معناه حالات الضعف الأخلاقية و الشخصية و الأهواء و الميل للأنانيات المختلفة التي إن لم تمعنها و تحاربها فسوف تسليك الإيمان، و تفرّغك من الداخل.

حين يسلبك هذا المرض إيمانك، يكون قلبك خلواً من الإيمان و ظاهرك الإيمان، و عندئذ سيسقط مثل هذا الشخص منافقاً. إذا حللت قلوبنا أنا و أنتم لا سمح الله من الإيمان و ظاهرنا ظاهر إيماني، و إذا فقدنا الأواصر و الالتزامات العقائدية و الإيمانية، و ما انفك لساننا يلهج بالكلام الإيماني الذي كنا نقوله سابقاً، فسيكون هذا هو النفاق،

١. سورة الأنفال، الآية ٤٩ .

و هو خطير. يقول القرآن الكريم: «ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ أَسَوَّا السَّوْءَ أَنَّ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ»^١، الذين يفعلون الأفعال السيئة سيكون نصيبهم أسوأ الأشياء. فما هو أسوأ الأشياء؟ التكذيب بآيات الله. و يقول في موضع آخر: الذين لم يقوموا بالواجب الإلهي الكبير المتمثل الإنفاق في سبيل الله.. «فَأَعْقَبَهُمْ نَفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ يُلْقَوْنَهُ بِمَا اخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعْدُوهُ»^٢، لأنهم أخلفوا الله ما وعدوه تفاصيل النفاق في قلوبهم. هذا هو الخطير الكبير على المجتمع الإسلامي. و أين ما ترون في التاريخ أن المجتمع الإسلامي قد انحرف فهذا هو السبب. قد يدخل العدو الخارجي فيقمع و يدمر و يهزم و ينتصر، لكنه لا يستطيع أن يدمر كل شيء، لأن الإيمان سيفي و ينمو و يتتصاعد و يزدهر في وقت من الأوقات. و لكن حين تجمم جيوش العدو الداخلي و تُخلّي داخل الإنسان و تفرغه، فإن الطريق سيتغير و ينحرف. و أين ما حصل انحراف فهذا هو السبب و المصدر. و قد حارب الرسول الأكرم (ص) هذا العدو أيضاً.

كان الرسول الأكرم (ص) مدرباً في تصرفاته و أعماله و لا يفوت الوقت. لا يسمح للوقت بالفوارات في أية قضية من القضايا. كان يعيش القناعة و الطهارة الشخصية، و لم تكن في ذاته المباركة أية نقطة ضعف. كان معصوماً و مطهراً، و هذا بحد ذاته أهم عوامل التأثير. علينا أن نتعلم، و جانب كبير من هذا الكلام يجب أن يقال لي، و يجب أن أتعلم أنا، و يجب أن يتعلم المسؤولون. التأثير بالأعمال أعمق و أوسع بكثير من التأثير باللسان. كان حاسماً و صريحاً. لم يكن يتحدث بكلام ذي وجهين أبداً. طبعاً حين كان يواجه العدو كان يمارس العمل السياسي بدقة، و يوقع العدو في الخطأ. في أحيان كثيرة فاجأ الرسول الأعداء و أخذهم على حين غرة، سواء من الناحية العسكرية أو من الناحية السياسية، لكنه كان مع المؤمنين و مع أصحابه صريحاً واضحاً دوماً يتكلم معهم بشفافية و لم تكن له معهم ممارسات سياسية. في حالات اللزوم كان يعاملهم بلين، مثل قضية عبد الله بن أبي التي فيها الكثير من

١. سورة الروم، الآية ١٠ .

٢. سورة التوبه، الآية ٧٧ .

الأحداث و التفاصيل. و لم ينكث أبداً عهده و التزاماته مع الناس و الجماعات التي كانت له معهم عهود و عقود حتى مع أعدائه و كفار مكة. لم ينقض الرسول (ص) عهوده معهم، بل نقضوها هم، و ردّ الرسول ردّاً حاسماً. لم ينكث تعهداته و مواثيقه مع أحد أبداً، لذلك كانوا يعلمون أنهم حين يبرمون العهود و المواثيق مع هذا الرجل يمكن الوثوق بعهوده و ما يقوله.

من جهة أخرى لم يكن الرسول الأكرم (ص) يترك تضرّعه، بل كان يعزز ارتباطه بالله تعالى أكثر فأكثر. في وسط ساحة الحرب، عندما كان ينظم قواته و يشجعهم و يحضّهم، كان يأخذ السلاح بنفسه و يمارس القيادة بجسم و قاطعية، أو يعلمهم ماذا يفعلون، و يقع على ركبتيه و يرفع يديه بالدعاء لله تعالى و يبكي أمام الناس و يتكلّم مع الله: ربنا أنت أنت.. ربنا أنت انصرنا.. ربنا ادفع أنت أعداءك. لم يكن دعاؤه يصرفه عن استخدام قوته، و لا استخدامه قوته كان يغفله عن التوسل و التضرّع و الارتباط بالله. كان لا يغفل عن الجانبيين. لم يتملكه الخوف أو التردد يوماً أمام العدو العنيد. الإمام علي بن أبي طالب (ع) و هو مظهر الشجاعة، يقول: متى ما كانت الظروف تسوء و تتعسر في الحروب كنا نلوذ بررسول الله. متى ما شعر شخص بالضعف في المواطن الصعبة كان يلوذ بالرسول. لقد حكم عشرة أعوام و لكن لو أردنا أن نعطي ما قام به خلال هذه الأعوام العشرة لمجموعة ذؤوبة تقوم به لما استطاعت إنجاز كل هذا الجهد و السعي و الخدمات حتى في مائة سنة. إذا قارننا أعمالنا اليوم بما قام به الرسول الكريم (ص)، سنعلم عندها ماذا فعل الرسول. إدارة تلك الحكومة و تأسيس ذلك المجتمع و صياغة ذلك النموذج، من معجزات الرسول. عاش الناس معه عشرة أعوام نهاراً و مساءً، و كانوا يأتونه في بيته، و يزورهم لبيوتحم. و كان معهم في المسجد، و معهم في الطرق و الأسفار، و معهم في النوم و معهم في الجوع و معهم في الأفراح. أجواء حياة الرسول الأعظم (ص) كانت أجواء مبهجة مليئة بالسرور، كان يتمازح مع الأشخاص و يجعل لهم المسابقات و يشتراك هو في المسابقات. الذين عاشوا مع الرسول تلك الأعوام العشرة تعمقت محبتهم و الإيمان به في قلوبهم يوماً بعد يوم. في فتح مكة

حين جاء أبو سفيان خفية و بحماية العباس – عمّ الرسول – إلى معسكر المسلمين ليحصل على الأمان، شاهد عند الصباح أن النبي يتوضأ والناس من حوله يأخذون قطرات الماء المتتساقطة من وجهه و يديه و يتنافسون عليها! فقال: لقد شاهدت الأكاسرة و القياصرة – ملوك العالم الأقوياء الكبار – لكنني لم أشاهد فيهم مثل هذه العزة.

نعم.. العزة المعنوية هي العزة الحقيقية.. «وَلِلّهِ الْعَزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ»^١ المؤمنون أيضاً إذا ساروا في هذا الطريق كانت لهم العزة. في مثل هذه الأيام – يوم الثامن و العشرين من صفر – فارق الناس هذا الإنسان الرفيع والأب الحنون، و تركهم في لوعة و حزن. يوم رحيل الرسول الأكرم (ص) و ما قبله من أيام كان فيها مريضاً مررت على المدينة بصعوبة، خصوصاً بتلك الظروف التي حصلت قبل رحيله بقليل. جاء الرسول إلى المسجد و ارتقى المنبر و قال: كل من كان له في عنقي دين أو حق فليأخذه ميّ. فانخرط الناس في البكاء و قالوا: يا رسول الله، أيكون لنا نحن في عننك حق؟! فقال إن الفضيحة عند الله أشدّ من الفضيحة عندكم، إذا كان لكم حق في عنقي، و يطلبني أحد بشيء ففعالوا و خذوه لكي لا يؤخذ ميّ يوم القيمة. لاحظوا أية أخلاق هذه! من الذي يقول هذا الكلام؟ الإنسان العظيم الرفيع الذي يفخر جباريل بصحبته. لكنه لم يكن يمزح مع الناس، بل كان يتحدث بجدٍ لثلا يكون قد أضاع و هو لا يعلم حقاً لأحد الناس. كرر الرسول الأعظم (ص) مقولته هذه مرتين أو ثلاثة.

طبعاً وردت في التواريخ أحداث و أقوال لا أدرى بالضبط أيها دقيقة، لكن القول الذي روی غالباً هو أن رجلاً نحضاً و قال: يا رسول الله، أنا لي في عننك حق.. ذات مرة كنت تجتاز بناقلتك من جواري، و كنت أنا أيضاً راكباً و كنت أنت أيضاً راكباً. و اقتربت ناقتي منك فأردت أن تهشّها بعصاك فوقعت عصاك على بطني، و أنا أطلبك هذا! فرفع الرسول الأعظم (ص) قميصه و قال: تعال و افترض معي الآن، و لا تدع

١. سورة المنافقون، الآية ٨ .

الأمر يبقى ليوم القيمة. نظر الناس حيary و هم يتساءلون أ يريد هذا الرجل حقاً أن يقتضي من الرسول؟ و هل سيطأو عه قلبه؟ و شاهدوا أن الرسول (ص) أرسل شخصاً ليأتيه من البيت بعصا نفسمها. ثم قال: خذها و اضرب بطني بنفس العصا. فتقديم الرجل، و الناس مبهوتين ذاهلين متخيّرين حجلين خوفاً من أن يريد هذا الرجل أن يضرّ النبي حقاً. لكنهم شاهدوه فجأة يقع على أقدام الرسول و قبل بطن النبي. و قال: يا رسول الله! إنما أريد أن أنقذ نفسي من نار الجحيم بمسى لبدنك!

اللهم بحق محمد و آله محمد، و بعزتك و جلالك، صلّ أفضـل صلاتك و سلم خـير سلامك من اليوم إلى الأبد على الروح الطاهرة لرسولنا العزيـز، و بلـغـه أفضـل الـطـافـك و فـضـلـك. رـتـاـ اـجـزـهـ عنـ الإـسـلاـم وـ المـسـلـمـين وـ عنـ الـبـشـرـيةـ خـيرـ الـجـزـاءـ. اـجـلـعـنـاـ أـقـمـتـهـ وـ مـنـ السـائـرـينـ عـلـىـ طـرـيقـهـ وـ صـرـاطـهـ الـمـسـتـقـيمـ. اـجـعـلـ مـجـتمـعـنـاـ شـيـهـاـ بـعـدـ مـجـتمـعـهـ. وـ مـنـ عـلـيـنـاـ جـمـيعـاـ بـهـمـةـ اـتـابـعـهـ وـ اـحـتـذـاءـ خـطاـهـ.^١

أهمية ولادة الرسول الأكرم (ص) و آثارها

لا مراء أن اليوم الذي تنورت فيه الدنيا المظلمة بالأنوار الإلهية لهذا الكيان المقدس عند ولادته، يجب أن يعدّ بداية تاريخ جديد للبشرية. كما قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه الصلاة والسلام) في كلماته، كان نور السعادة قد فارق المجتمعات البشرية في ذلك العصر نتيجة سيادة القوانين و السلطات الحائزـةـ .. «وـ الدـنـيـاـ كـاسـفـةـ النـورـ، ظـاهـرـةـ الغـورـ». ^٢ أظهر نور الرسول (ص) منذ بداية ظهوره علامات سيادة الحق و دلائل حضور البرهان الإلهي بين الناس. العجائب التي وقعت عند ولادة الرسول الأكرم (ص) كانت في الحقيقة إنذاراً للبشرية و التاريخ. أن يتصلع قصر كسرى عند ولادته (ص) أو تتطفى نيران في معابد النار، فهذا له معنى رمزي. المعنى الرمزي لهذه الحقائق والأحداث هو أن ظهور هذا الولي المبارك فتح أمام البشر طريقاً يخرجهم من ظلمات الأوهام و الأنظمة الظالمـةـ. أما من هـمـ الـذـينـ يـخـتـارـونـ هـذـاـ الطـرـيقـ وـ يـسـيرـونـ فـيـهـ

١. من خطبتي صلاة الجمعة بطهران في تاريخ ٢٠٠١/٥/١٨ م.

٢. نـجـحـ الـبـلـاغـةـ، الـخطـبـةـ رقمـ ٨٩ـ .

باقتدار و من الذين يعرضون عنه و لا ينالون شيئاً من خيراته، فهذا يعود إلى إرادة الأفراد و مشيئتهم. هم الذين يختارون بأنفسهم مصيرهم و مستقبلهم، لكن هذا الدرب انفتح أمام الناس. أضف إلى ذلك أن السنة الإلهية جرت على أن تتجه المسيرة العامة للبشر نحو نفس هذه الأهداف السامية. هذا شيء تتجه صوبه المجتمعات البشرية بشكل قهري طبيعي. و هو ما تدلّ عليه كل أحداث التاريخ. الرقي العلمي و التقدم المعرفي للبشر يصبّ كله باتجاه تعاليم نبي الإسلام المكرم (ص) و نحو نهايته و غايته. و اليوم أيضاً يشعر البشر أكثر من أي وقت آخر بالحاجة لتعلم رسول الإسلام ^١ التبرّة.

المبعث في الحقيقة يوم ارتفاع راية رسالة لها مميزات منقطعة النظير للإنسانية. الواقع أن المبعث رفع راية العلم و المعرفة. بدأت البعثة بكلمة «إقرأ».. «إقرأ باسم ربك الذي خلق»^٢ و بـ «ادع إلى سبيل ربك بالحكمة و الموضعية الحسنة»^٣ أي الدعوة المصحوبة بالحكمة. الواقع أن الدعوة الإسلامية نشر للحكمة في كل أنحاء العالم على مذ التاريخ. كما أن البعثة رفع لراية العدل، و تكريس للعدالة بين المؤمنين و عباد الله و كل أبناء البشر، كما أن الرسالة هي رفع راية الأخلاق الإنسانية السامية.. «بعثت لأنتم مكامن الأخلاق»^٤ يقول الله تعالى مخاطباً رسوله الكريم: «و ما أرسلناك إلا رحمة للعالمين». أي إن كل الأشياء و الأمور التي يحتاجها البشر في كل الأزمنة و الظروف و في كل ناحية من العالم، مدرجة في هذه البعثة، أي العلم و المعرفة و الحكمة و الرحمة و العدل و الأخوة و المساواة، و كل الأمور الأساسية التي ينطوي بها

١. من كلمته في لقائه مدراء الجمهورية الإسلامية الإيرانية في ذكرى ولادة الرسول الأعظم (ص) و الإمام جعفر الصادق (ع)، بتاريخ ٢٠٠١/٠٦/١٠ م.

٢. سورة العلق، الآية ١ .

٣. سورة النحل، الآية ١٢٥ .

٤. بخار الأنوار، ج ٦٧ ، ص ٣٧٢ .

٥. سورة الأنبياء، الآية ١٠٧ .

سياق الحياة الإنسانية السليمة. و مع أن في الإسلام جهاد، و معنى الجهاد مكافحة التعسف و الاعتداء – طبعاً اعتبر البعض عن سوء نية الدين الإسلامي دين السيوف لوجود حكم الجهاد فيه – لكن هذا الإسلام نفسه يقول: «و إن جنحوا للسلم فاجنح لها و توكل على الله»^١ أي إنه يفضل السلام على الحرب حين تقتضي الظروف.

الإنسانية في الوقت الحاضر بحاجة لهذه المعرف. نحن المسلمين مقصرون و يجب أن نعترف بنقصينا. نحن المسلمين مقصرون. أولاً نحن مقصرون في عرض المعرف الحقيقة للإسلام على مستوى العالم. ثانياً مقصرون في عرض النماذج الصحيحة للإسلام على مستوى العالم. لو أقام المسلمون أعمالهم و سلوكياً تهم الاجتماعية و الفردية و نماذجهم الحكومية و السياسية على أساس هذه المعرف و بما يتطابق معها، لكان ذلك أعظم و أفضل دعوة للإسلام. طبعاً لا مرأء أن هناك اليوم أمواج دعائية و إعلامية معقدة و متتشابكة في العالم ترتكز كلها ضد الإسلام.^٢

العلامات الرمزية لولادة الرسول الأكرم (ص)

في مثل هذا اليوم أظهر الله تعالى أعظم ذخر و كنز إلهي هو الذات المقدسة لرسول الإسلام الكريم (ص). و كان هذا بداية حقبة حاسمة في مصير البشرية. قالوا في علامات ولادة الرسول الأكرم (ص) إنه حين ولد انحرفت قمة قصر كسرى، و انطفأت النار في معبد آذرگشسب التي بقيت متقددة قرونًا من الزمان، و جفت بحيرة ساوة التي كان بعض الناس آنذاك يعتقدون أنها بحيرة مقدسة، و انحرارت و تكسرت أسنان كانت معلقة حول الكعبة. هذه العلامات و هي رمزية تماماً تشير إلى اتجاه الإرادة و السنة الإلهية بولادة هذا الإنسان العظيم و الشخصية السامية المتقطعة النظير. معنى هذه الأحداث الرمزية أن هذه الولادة المباركة من شأنها إخفاء حالات إذلال الإنسان، سواء عن طريق سيادة الحكام الجبارية المستبدرين – من قبيل ما كان يومذاك في بلاد إيران و الروم – أو عن طريق عبادة غير الله. يجب أن يتحرّر البشر على يد هذا الوليد المبارك،

١. سورة الأنفال، الآية ٦١ .

٢. من كلمته في لقائه المدراء و المسؤولين في الجمهورية الإسلامية الإيرانية بمناسبة عيد المبعث النبوى الشريف،

بتاريخ ٢٠٠١/١٥/٢٠٠١ .

من أغلال الجحود التي ضرها الحكم الظالمون على الناس على مرّ التاريخ، وأيضاً من أصفاد الخرافات والمعتقدات غير الصحيحة والمذلة التي تجعل الإنسان ذليلاً خاضعاً مذححاً أمام كائنات أدنى منه وأحط أو حيال غيره من البشر. لذلك تقول الآية القرآنية حول بعثة الرسول الأكرم (ص): «**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَ دِينِ** الحق ليظهره على الدين كله و كفى بالله شهيداً.^١ ليظهره على الدين كله حالة لم يوضع لها جدول زمني معين، إنما هي تشير إلى الاتجاه في هذه المسيرة. يجب أن تسير البشرية بفضل هذا الحدث نحو الحرية المعنوية والاجتماعية والحقيقة والعقلانية. لقد انطلق هذا الأمر، واستمراره بيد الناس. هذه بدورها سُنّة أخرى في عالم الخلقة.

لو وظف الناس جهودهم و مساعيهم و همهم أكثر لحققوا الأهداف الإلهية – المرسومة في التعاليم و البرامج الإلهية – أسرع. أما إذا لم يستخدموها و أبدوا الضعف و التقاус فسوف يتأخرون في هذا الطريق سنين طويلة تشبه تيه بنى إسرائيل: «أربعين سنة يتيهون في الأرض»،^٢ لقد تاه بنو إسرائيل في الصحراء بما كسبت أيديهم. كان يسعهم أن يمنعوا ما حلّ بجسم من عسر و مراتات. كان يسعهم أن يقصّروا مدة هذه الأزمة، وكان يمقّرورهم في الوقت نفسه أن يزيدوا من مدتها. و كذا الحال بالنسبة لمصيرنا. لقد تمّ شرح أسباب حلقة البشر و فلسفة البعثة و إرسال الرسل و إنزال الكتب السماوية من قبل الله.. شُرحت هذه الأمور و تمّ تعينها للمسلمين. و البشر أنفسهم بمستطاعهم تقصير هذا الطريق الطويل، و الوصول إلى الأهداف سريعاً أو متأخرين.^٣

١. سورة الفتح، الآية ٢٨ .

٢. سورة المائدة، الآية ٢٦ .

٣. من كلمته في مدراء الدولة بمناسبة ذكرى ولادة الرسول الأكرم (ص) و الإمام جعفر الصادق (ع)، بتاريخ ٣٠/٥/٢٠٠٢ م.

مقارنة بين الجاهلية ما قبل الإسلام و الجاهلية المعاصرة

بعثة النبي الأكرم (ص) للإنسانية كانت بداية طريق جديد. العالم الذي أحاط بذلك الرسالة و مكان ظهورها كان عالماً بالغ السوء و لا يمكن أن يطاق. كان عالم الميول الجامحة للماديات و عالم الخصال الحيوانية و عالم الأقوباء و العتاوة و الجبارة المنفلتين، و عالم التمييز و الفساد و الظلم و الشهوات و التحلل. و لم يكن هذا الوضع خاصاً بمنطقة الحجاز، إنما الدولتان الكبيرتان اللتان أحاطتا بشبه الجزيرة العربية أيضاً – أي إيران الساسانية و الامبراطورية الرومانية – عانتا من نفس المشكلات.

الجاهلية التي كانت تفرض البؤس و المرارة على حياة الناس في زمن ظهور الإسلام كانت جاهلية شاملة. في ذلك العصر كانت هناك فتن لا تطاق يعيشها الإنسان في كل المناطق المحيطة بشبه الجزيرة العربية. وقد كانت هناك علوم و كانت حضارة – بمستوى ذلك العصر – و كان هناك نظام و حكومات ملوكية و تشريفات و حالات انضباط ناجمة عن القووة المطلقة في تلك البلدان، لكن ما كان غائباً هو نور الإنسانية و الفضيلة. وما كان غائباً هو بالضبط ما تحتاج إليه الإنسانية أمس الحاجة، أي بيئة الفضائل الإنسانية و مناخ الرحمة و الإنصاف و العدالة. ما كان يعوز الناس يومذاك هو العدالة. ما كان الناس يفتقدونه هو أن لا يسحق الضعيف تحت أقدام القوي، و أن لا تُحتكر خيرات الأرض بيد عدد قليل من الأفراد الأقوباء و يحرم الآخرون منها. هذه كانت الأوحاع و الآلام الكبيرة للإنسانية.

و قد كان الوضع على نفس النحو في ظل الدولة الساسانية، وكذلك في ظل الدولة الرومانية، ولكن في كل واحدة بخصائص معينة. وقد كانت الحياة البدوية سائدة يومئذ في الحجاز و بمواصفات و خصائص مختلفة. وقد ظهرت البعثة الإسلامية و سطعت مقابل كل هذا. لم تكن البعثة مختصة بتلك المنطقة التي ظهرت فيها، بل هي لكل البشرية: «إن هو إلا ذكر للعالمين».^١ استطاع النبي الأكرم (ص) أن يقف بوجه ذلك الواقع المرّ و يغيّره. استطاع الرسول إيجاد صدوع كبيرة في جدران الفساد و

١. سورة التكوير، الآية ٢٧ .

اللاعدالة في حياة البشر، و تدمير بعضها و إسقاطه، و إعداد بعضها للانهيار و السقوط. كان يواجهه الرسول الأكرم (ص) أمامه أحقى صنوف الواقع و أصعبها. حين يكون القبح و الفساد و الخلل مجهاً بالقوة و السيف و الإرادة و السياسة فسيمثل خطراً هائلاً يهدد البشرية.

البشرية اليوم في القرن الحادي والعشرين، و على الرغم من كل دعاواها، تسير نتيجة بعض حالات الضعف و الخلل نحو هيمنة قوة أو مجموعة من القوى منفلتة الزمام تعتمد على قوتها و قبضتها الفولاذية و أسلحتها الفتاكه لتقرر لنفسها الحق، و هو حق غير موجود. و هذا هو الوضع الذي كان سائداً يومذاك في بداية البعثة. و قد وقف الرسول الأعظم (ص)، و لم يقل إن هذا واقع قائم و ما عسى يمكن الفعل مقابل الواقع. بعض الناس يبررون ضعفهم و خور همهم بالقول إن هذا واقع و ما عسانا فاعلين أمام الواقع؟ ليس هذا هو الواقع الذي يجب أن نستسلم أمامه. الواقع الطبيعي و الواقع الذي لا يقبل العلاج و الواقع المفروض على الإنسان، هذا هو الواقع الذي يجب على المرء التكيف و التأقلم معه. أما الواقع الذي يخلق البعض بالقوة و العسف ضد جماعة أخرى فيجب قلبه و تغييره.

ليس من المنطقي أن نقول إن قوة الاستكبار اليوم واقع، فما نفعل أمامه. هذا واقع مفروض. الناس الكبار و الأديان الإلهية و أصحاب الأفكار الكبرى يقفون بوجه هذا الواقع و يكافحونه ليغيّروه و سوف يتغيّر. هذه كانت حقيقة البعثة. يوم شاعت هذه الرسالة في أجواء مكة، قال: «**قُولوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَفْلِحُوا**». ^١ حتى المنصفون و الحريرون ما كانوا ليتجروا على التفكير باحتمال انتصار هذه الكلمة في يوم من الأيام، لأن الأرضية لم تكن معدّة. كل هذه الأصنام كانت معلقة على حدران الكعبة، و تدعيمها الصهيونيات الجاهلية العميقـة، و أشراف مكة و العوائل القوية المتفذـة التي تقلبـ كلـمة لا إله إلا الله مصالحـهم و وضعـهم، و من ورائهمـ الدولـتان الساسـانية و الروـمانـية المـقدـرتـان. هل كان أحدـ ليتجـرأ و الحالـ هذه علىـ التـفكـيرـ للـوهـلةـ الأولىـ بـأنـ هـذهـ

١. بخار الأنوار، ج ١٨ ، ص ٢٠٢ .

الفكرة ممكنة الطرح و المتابعة؟! الأشخاص الضعفاء ينسحبون من هذه المرحلة. لكن الواجب و الرسالة و البعثة دفعت بالرسول الأعظم (ص) إلى الأمام. البعثة معناها الإرسال، وقد حدثت هذه البعثة لتغيير الأحوال في الحجاز بداية، و من بعد ذلك في كل العالم المتحضر آنذاك، و خلال نصف و عشرين عاماً.

لم يكن قد انقضى أكثر من نصف قرن على ظهور الإسلام و أصل البعثة حتى تأثر أكثر من نصف العالم المتحضر بالإسلام. لا تظنو أن دولاً و حكومات مثل الامبراطوريات المقتدرة لم يكن لها شيء من العلم و العقل و التنظيمات و القوات المسلحة و الدعاوى و الغور و التكبر، بل، كان لها، لكن الإيمان الصريح و الواضح و المعتمد على المنطق القوي حين يملا قلوب الناس ذوي المهم و الإخلاص و التضحية، فإن كل هذه الموارن و العقبات ستترفع. و كذا الحال اليوم أيضاً. الإيمان الإسلامي إيمان يعتمد على المنطق و البرهان و يشتمل على خير البشر و سعادتهم.^١

الصـحـوة الإـسـلامـيـة عـودـة الـمـسـلـمـيـن مـن حـقـبـةـ الـجـهـل و الـانـحرـاف إـلـى تعـالـيمـ الرـسـول الـحـقـيقـيـة

كانت هذه الولادة طليعة الرحمة الإلهية في تاريخ البشرية. لقد عبر القرآن الكريم عن وجود الرسول الأكرم (ص) بأنه «رحمة للعالمين».^٢ و هذه الرحمة غير محدودة فهي تشمل التربية و التزكية و التعليم و هداية البشر نحو الصراط المستقيم و تقدم الإنسان في مجالات الحياة المادية و المعنوية. و هي لا تختص بالناس في ذلك الزمان، بل تشمل البشرية على امتداد التاريخ: «و آخرين منهم لما يلحقوا بهم».^٣ و سبيل الوصول إلى ذلك الهدف هو العمل بمعارف الإسلام و قوانينه المرسومة للبشرية. شهدت الأمة الإسلامية الكبرى طوال قرون متعددة الكثير من التحديات و الانحرافات. لقد أبعدنا أنفسنا عن الإسلام و انشغلنا بأشياء حذرنا منها. انشغلنا على مدى هذا التاريخ الطويل بمحروب داخلية، و انشغلنا بالقوى الطاغوتية.

١. من كلمته في لقائه مدراء الجمهورية الإسلامية الإيرانية بمناسبة المبعث النبوى الشريف، بتاريخ ٢٠٠٢/١٠/٥ م.

٢. سورة الأنبياء، الآية ١٠٧ .

٣. سورة الجمعة، الآية ٣ .

فكانـت النـتيـجة أـن لـم تـسـطـع الأـمـة الإـسـلـامـيـة الـكـبـرـى عـلـى اـمـتدـاد قـرـون طـوـيـلة مـن بـعـد الـقـرـون الإـسـلـامـيـة الـأـوـلـى الـوـصـول إـلـى الـهـدـف و الـغـاـيـة الـتـي أـرـادـها لـهـا رـسـول الإـسـلـام الـكـرـيم (ص) و الـدـين الإـسـلـامـي الـخـيـفـى. مـع أـن الله تـعـالـى أـوـدـع فـي الـبـلـدـان الإـسـلـامـيـة الـكـثـيرـ من الشـروـات الـمـاـدـيـة الـتـي كـانـ يـمـكـنـها أـن تـكـوـنـ وـسـيـلـة لـإـحـراـزـنا التـقـدـم و الـرـفـعـة، لـكـنـنـا كـنـا عـلـى صـعـيدـ الـعـلـم و الصـنـاعـة و الـكـثـيرـ من مؤـشـراتـ التـقـدـم فـي الـمـرـاتـبـ الـمـتـأـخـرةـ مـنـ الـعـالـمـ. لـم يـكـنـ هـذـا هـوـ الشـيـءـ الـذـي أـرـادـهـ لـنـا الإـسـلـامـ، كـانـ هـذـا هـوـ ما جـلـيـتـهـ عـلـيـاـ أـعـمـالـنـا السـيـئـة و سـلـوكـنـا و غـفـلـتـنـا نـحـنـ الـمـسـلـمـينـ: «مـا أـصـابـكـ مـنـ سـيـئـةـ فـمـنـ نـفـسـكـ». ^١ نـحـنـ الـذـينـ أـوـقـنـنـا فـي هـذـهـ الـأـوـضـاعـ نـتـيـجـةـ غـفـلـتـنـا عـلـى مـرـ الزـمـانـ.

لـقـدـ اـخـتـلـفـتـ الـأـوـضـاعـ فـي الـعـالـمـ الإـسـلـامـيـ الـيـوـمـ، وـ الصـحـوـةـ الإـسـلـامـيـةـ مـحـسـوـسـةـ وـ مـشـهـودـةـ فـيـ كـلـ أـرـجـاءـ الـعـالـمـ الإـسـلـامـيـ. تـلـاحـظـ حـرـكـةـ وـ خـمـسـةـ عـظـيمـةـ فـيـ أـطـوـارـ مـخـتـلـفةـ فـيـ كـلـ الـعـالـمـ الإـسـلـامـيـ، وـ هـنـاكـ مـيـوـلـ للـعـودـةـ إـلـىـ الـأـصـوـلـ وـ الـمـبـانـيـ الإـسـلـامـيـةـ الـتـيـ تـورـثـ الـمـسـلـمـينـ الـعـزـةـ وـ التـقـدـمـ وـ الـرـقـيـ. عـلـىـ الـمـفـقـيـنـ وـ الـعـلـمـاءـ الـدـينـ وـ الـسـيـاسـيـنـ فـيـ الـعـالـمـ الإـسـلـامـيـ تعـزـيزـ هـذـهـ الـحـرـكـةـ. مـنـ الـخـطـأـ أـنـ يـتـصـورـ الـبـعـضـ فـيـ الـعـالـمـ الإـسـلـامـيـ أـنـ حـرـكـةـ الـصـحـوـةـ الإـسـلـامـيـةـ بـفـضـلـ الـصـحـوـةـ الإـسـلـامـيـةـ أـنـ تـسـعـيـدـ الـعـزـةـ الـتـيـ سـلـبـتـهـاـ مـنـهـاـ الـقـوـىـ الـمـسـتـكـبـرـةـ. وـ مـنـ النـمـاذـجـ عـلـىـ ذـلـكـ بـلـادـنـاـ وـ ثـورـتـنـاـ وـ إـمامـنـاـ الـخـمـيـنـيـ الـرـاحـلـ. بـعـدـ أـنـ عـشـنـاـ قـرـونـاـ طـوـيـلةـ تـحـتـ وـطـأـةـ الـاستـبـداـدـ وـ قـرـنـيـنـ مـنـ الزـمـانـ تـحـتـ نـيـرـ هـيـمنـةـ الـأـجـابـ، صـحـوـنـاـ عـلـىـ أـنـفـسـنـاـ وـ اـسـتـطـاعـ إـمامـنـاـ الـخـمـيـنـيـ الـجـلـيلـ إـعادـةـ الـعـزـةـ لـلـشـعـبـ. لـقـدـ سـادـ الـإنـجـليـزـ وـ الـرـوـسـ وـ الـأـمـريـكـانـ فـيـ هـذـاـ الـبـلـدـ عـلـىـ التـرـتـيبـ وـ كـانـوـاـ هـمـ الـحـكـامـ الـحـقـيقـيـنـ فـيـهـ، حـتـىـ لـوـ مـيـكـوـنـوـاـ هـمـ عـلـىـ رـأـسـ الـسـلـطـةـ الـظـاهـرـيـةـ فـيـهـ. فـقـدـ كـانـتـ الـأـمـورـ فـيـ أـيـديـهـمـ وـ كـلـ شـيـءـ فـيـ الـبـلـادـ تـحـتـ تـصـرـفـهـمـ. وـ كـانـ شـعـبـنـاـ مـحـرـومـاـ مـنـ حـقـوقـهـ وـ مـصـادـرـ الـطـبـيعـيـةـ وـ عـزـتـهـ وـ الـطـعـمـ الـحـقـيقـيـ لـدـيـهـ. اـسـتـطـاعـ إـمامـنـاـ الـخـمـيـنـيـ الـجـلـيلـ بـفـضـلـ الـعـودـةـ إـلـىـ الـإـسـلـامـ وـ التـمـسـكـ بـهـ إـزـاحـةـ الـهـيـمنـةـ

١. سورة النساء، الآية ٧٩ .

الطويلة للاستبداد والاستعمار على بلادنا، و منحتنا العزة. استطاع منح شعبنا الشعور بالهوية الإسلامية ليشعروا أن بمستطاعهم الوقوف على أرجلهم و الاعتماد على أنفسهم و اتخاذ القرارات و الانتخاب بأنفسهم، و قول «لا» و «نعم» في القضايا المصيرية الحاسمة بأنفسهم. لم يتذوق شعبنا مثل هذا الطعم طوال قرون من الزمان، و قد منحهم الإسلام هذا الشيء. في أية نقطة من نقاط العالم تتعزز فيه حركة الصحوة الإسلامية و تتصاعد و يشعر الناس و الشباب في ذلك البلد أئمـة يقتربون من الإسلام، ستحصل نفس هذه الحالة من تجديد الهوية و العزة.^١

إحياء ذكرى البعثة إعادة قراءة دروسها الكبرى

إحياء ذكرى البعثة، قبل أن يكون مجرد مراسم لإحياء ذكرى معينة، هو استدراك لدورس البعثة الكبرى، و التي تحتاجها في الوقت الحاضر البشرية كلها، و خصوصاً المجتمع المسلم. البشرية اليوم متحنة بجيمنة القوى الطاغوتية و بما تعرّض له من ظلم و تمييز و فساد و تسلط أهواء جماعات خاصة على حياة الناس. تتلوى الحياة الإنسانية في الوقت الراهن تحت وطأة نزوات أشخاص لم يشموا ريح المعنوية، و تسيطر عليهم أهواؤهم و شهواتهم. الإنسانية اليوم أحوج من أي وقت آخر لرسالة البعثة.

١. من كلمته في مدراء الدولة بمناسبة السابع عشر من ربيع الأول ذكرى ولادة الرسول الأكرم (ص) و الإمام جعفر الصادق (ع)، بتاريخ ١٩/٥/٢٠٠٣ م.

**بعثة النبي الأكرم
(ص) دعوة
للتوحيد كمنهج
حياة للبشر**

بعثة النبي الأكرم (ص) هي بالدرجة الأولى دعوة للتوحيد. ليس التوحيد مجرد نظرية فلسفية و فكرية، إنما هو منهج حياة للبشر. إنه تسويد الإنسان لله على حياته، و تقسيم لأيدي القوى المختلفة عن حياة البشرية. لا إله إلا الله و هي رسالة نبينا الأعظم (ص) و باقي الأنبياء و الرسل معناها عدم تدخل القوى الطاغوتية و الشياطين في حيوانات الناس و في مسيرة الإنسان و في انتخاب أنماط الحياة، و عدم تلاعب أهواء هذه القوى و نزواتها بحيوات المجتمعات البشرية. إذا تحقق التوحيد بمعنى الواقع الذي أراده الإسلام و حمله كل الأنبياء و الرسل في حياة المجتمعات المسلمة و الإنسانية، فستبلغ الإنسانية السعادة الحقيقية و الفلاح الدنيوي و الآخروي، و سوف تعمّر حياة البشر الدنيوية و تكون لصالح تكامل الإنسان و رفعته الحقيقة. الدنيا من وجهة نظر الإسلام مقدمة و معبر للآخرة. الإسلام لا يرفض الحياة الدنيا و لا يذمّها و لا يقصيها، و لا يستهجن المتع و المللذات الدنيوية، بل يريد للإنسان أن يكون نشيطاً في ساحة الحياة بكل مواهبه و غرائزه، لكن كل هذا يجب أن يكون خدمة رفعة روح الإنسان و بمحاجته المعنوية لتكون الحياة حلوة طيبة في هذه الدنيا. في مثل هذا العالم لا يوجد ظلم و جهل و وحشية، و هذه عملية صعبة و تحتاج إلى تعب و كد و جهد، و قد بدأ الرسول الأعظم هذا الجهد منذ اليوم الأول لبعثته.

**البعثة دعوة لكل
الكمالات التي
يحتاجها البشر**

ما دعا إليه الرسول الأكرم (ص) هو ما كان البشر يحتاجون إليه في كل العصور و الأحقاب التاريخية. دعا رسول الإسلام الكريم (ص) الإنسان إلى العلم. و أول الآيات القرآنية هي تكريم للعلم و المعرفة: «إقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من عرق، إقرأ و ربك الأكرم، الذي علم بالقلم». ^١ يطرح التعليم أولاً. فالعلم وسيلة لنجاة الإنسان و فلاحه، و هو أمر لا يختص بزمان و مكان دون غيرهما، بل يشمل كل فترات الحياة البشرية. دعا رسول الله الناس إلى العمل و التحرّك و القيام. قال الله

١. سورة العلق، الآيات ١ - ٤ .

تعالى في أوائل الآيات التي نزلت على الرسول الأكرم: «قُمْ فَأَنذِرْ». ^١ إنما دعوة للقيام و الحركة و الخروج عن حالة السكون و الركون و الجمود و الشعور بالمسؤولية.. «قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِللهِ». ^٢ القيام لله مجد و نافع في كل ظروف الحياة الإنسانية، و من دون القيام و الحركة لا يمكن الوصول لأي من الأهداف السامية.

دعا رسول الله (ص) البشر إلى تركية النفس و تنقيتها و تربيتها: «هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأَمْمَيْنِ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتَلوُ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيَعْلَمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ». ^٣ التركية هي الشرط الأول. من دون التركية سيكون حتى العلم وسيلة للفساد و اختطاط البشر و ضلالهم و سقوطهم. و ترون اليوم أن العلم أضحي وسيلة لسقوط البشر و اختطاطهم، حيث يستخدمون العلم لأسر الشعوب و قلب الحقائق و تجويع الناس. كم من البشر اليوم في أطراف العالم و أكناfe محرومون من مصادرهم الحياتية بسبب السلطات الاستعمارية التي هاجتهم بوسائلها العلمية و تسلطت عليهم و فرضت عليهم حياة الفقر و البؤس و المسكنة و الحرمان و التعasse! و في يومنا الحاضر أيضاً لا يزال الوضع على نفس الشاكلة. يستخدم الاستكبار العالمي - الاستعمار بشكله الحديث في العالم - في الوقت الراهن أدوات العلم و منتجاته ليفرض التعasse و البؤس على البشر، و ليضرب عليهم الأغلال، و يحكم عليهم بالموت و الإبادة. هذه هي حصائل العلم من دون التركية.

يدعو الإسلام الأفراد إلى الأخوة و إلى المساواة بين الناس و عدم التمييز بينهم، و إلى عدم جعل الأعراق سبباً للتمييز بين أنس و أنس، و إلى عدم النظر لشعب على أنه متتفوق طبيعياً و ذاتياً على شعب آخر. يدعو الإسلام إلى أن أكرم الناس هم أتقاهم. فملاءك التفوق و الرفعة هو التقوى. التقوى معناها مراقبة الإنسان لسلوكه و التدقير فيه و النظر لخط أقدامه و مسيره، و التنبّه للحدود الإلهية، و التخطيط للحياة.

١. سورة المدثر، الآية ٢ .

٢. سورة سباء، الآية ٤٦ .

٣. سورة الجمعة، الآية ٢ .

و هذا الأمر لا يتعلق بزمن خاص، فالبشر اليوم أيضاً بحاجة لهذه الأمور. مهما تطورت علوم الإنسان و مدتيته تبقى هذه الأمور هي أسباب سعادته. على الأمة الإسلامية الاهتمام بهذه الأمور و أن تطلبها و تسعى لها. و هي بحاجة لإرادة و عزم راسخ بين الشعوب المسلمة و مسؤولي البلدان و رؤسائها و من بأيديهم زمام الأمور.

في الدعاء المأثور: «و قد علمت أن أفضل زاد الراحل إليك عزم إرادة يختارك بها»^١، إذن أفضل زاد إنساني هو أن تكون للإنسان عزيمة و إرادة يختار بها سبيل الله و يسير فيه. طبعاً هذا الطريق صعب، لكنه يسهل بالعزيمة الإنسانية الراسخة. هذه أشياء علمنا الإسلام إياها. أين ما جرّنا هذه الأمور في حياتنا وجدناها عملية. أي إن التجارب تعاضدها و تؤيدها كذلك.

مسؤولية العلماء و المثقفين و الرؤساء و النخب في إصلاح المجتمعات الإسلامية

في صدر الإسلام استطاعت جماعة صغيرة بعيدة عن المدنية و العلوم و محرومة من كل خيرات الحياة، استطاعت بفضل هذه الأصول و التمسك بهذه الأركان إطلاق أعظم مدنية في العالم على مدى عدة قرون، فانتفع العالم من مدنيتهم و علومهم. هذه هي تجربتنا السابقة، و اليوم أيضاً و نحن في الجمهورية الإسلامية متى ما اعتمدنا على إرادتنا و توكلنا على الله و استخدامنا طاقاتنا و قدراتنا و تخلينا عن أهوائنا و رغبنا على الأهداف كنا موفقين في أعمالنا و خطواتنا.

من الواضح و البديهي أن صناعة المجتمع و صناعة المدنية و الحضارة، و هي من أكبر أهداف الإسلام، لن تبقى من دون أعداء. و في صدر الإسلام أيضاً ناصب البعض العداء لتأسيس النظام و المجتمع الإسلامي. و كذا الحال اليوم أيضاً. الشعوب المسلمة في الوقت الراهن و في مختلف أصقاع العالم الإسلامي تجد في نفسها روح الاعتزاز بالإسلام، و تشعر بالعزّة و الفخر لانتمائهما للإسلام. الصحوة الإسلامية حقيقة ظهرت و بانت، سواء شاء أعداء الأمة الإسلامية أم رفضوا. و السير في هذا الـ**الـدـرـبـ** يحتاج إلى عزيمة راسخة من قبل مسؤولي البلدان و ساستها.

١. إقبال الأعمال، ج ٢ ، ص ٦٧٨ .

نحن أول المحاطبين بهذا البيان والكلام، وتقع على عواتقنا مسؤوليات جسيمة. قال الرسول الأكرم (ص): «لا تصلح عوام هذه الأمة إلا بخواصها». ^١ إصلاح حشود الشعب وكتلته غير ممكن إلا بإصلاح نخبه و خواصه و علمائه في كل بلد و كل مجتمع من المجتمعات. فسألوا الرسول الأكرم: «يا رسول الله و ما خواص أمتك؟» فقال: «خواص أمتي العلماء والأمراء».. إنكم العلماء و المثقفون و الواعون و الأمراء و الساسة. ^٢

شخصية الرسول الفذة.. نموذج دائمي لكل العصور

حياة الرسول الأكرم (ص) حياة الله و في سبيل الله و وقف لنشر التعاليم الإلهية، و شخصيته الفذة المنقطعة النظير نموذج و درس دائمي لكل عصور التاريخ الإسلامي. «لكم في رسول الله أسوة حسنة». ^٣ بهذا الجد و الاجتهداد و الكد انتشرت تعاليم الإسلام في كل التاريخ. و ليست هذه التعاليم للمسلمين فقط، إنما تنتفع البشرية كلها من انتشار تعاليم الإسلام. نحن المسلمين لو عرفنا قدر التعاليم الإسلامية و أدركنا عمقها فسنستطيع إيجاد عالم جديد يتطابق و الإرادة الحقيقة و الفطرية للإنسان. تستطيع الأمة الإسلامية عبر تمسكها بالإسلام إنقاذ العالم الغارق في الشهوات و الغضب و الجاهلية و الأنانية و عبادة الذات. روح كل المعارف و التعاليم الإسلامية هو أن لا يُعطي زمام سلوك البشر و أعماله في الحياة بيد الشهوات و الغضب، و أن لا توجه الأنانيات الإنسان و المجتمع الإنساني، بل يوجهه العقل و التقوى. انظروا لآلام البشر و محنهم من فقر و حرمان و تمييز و فساد و جهل و عصبيات عبشهية.. ما هو سبب كل هذا؟ و المذابح و الحروب و الظلم و الجور و القساوة في المجتمع البشري من أين تنبع؟ جذور كل هذا هو أن الذين لا يمسكون بزمام أنفسهم و الواقعين أسرى لشهواتهم و غضبهم و أنانيتهم و حبّهم الجاه و المال، متى ما تحكموا في مصير البشر و

١. الموعظ العددية، ص ١٢٤ .

٢. من كلامه في لقاءه مدراء الجمهورية الإسلامية الإيرانية في عيد المبعث الشريف، بتاريخ ٢٤/٠٩/٢٠٠٣م.

٣. سورة الأحزاب، الآية ٢١ .

في أي مكان من العالم، ساقوا البشرية إلى الفقر والحروب والجهل والتمييز والفساد والفتنة. والإسلام يرجم معالجة هذه المحن. يقول الإسلام يجب عدم إعطاء أزمة الإرادة والقرار و اختيار البشر و حررتهم – وهي من أعظم مواهب الله للبشر – لأيدي الجهل والشقاء و عبادة الدنيا و الأنانيات و عبادة الذات، بل تعطى لأيدي العقل والتقوى.^١

أولاً أبارك هذه المناسبة البهيجـة للأمة الإسلامية الكبرى و لشعبـنا الإـيرـاني العـزيـز و للحضورـ المـحـترـمـينـ فيـ هـذـهـ الـجـلـسـةـ وـ خـصـوصـاـ الضـيـوفـ وـ الإـخـوـةـ غـيرـ الإـيرـانـيـنـ. وـ ثـانـيـاـ لـدـيـنـاـ نـحـنـ مـسـلـمـينـ وـ بماـ يـنـتـابـ مـعـ تـكـرـيمـ وـ إـحـيـاءـ سـخـصـيـةـ نـبـيـ الإـسـلـامـ الـكـرـيمـ (صـ)،ـ الـكـثـيرـ مـاـ نـقـولـهـ لـبعـضـنـاـ وـ نـطـرـحـهـ بـيـنـاـ لـلـبـحـثـ وـ الـدـرـاسـةـ. فـرـسـوـلـ الإـسـلـامـ مـعـلـمـ كـلـ الـفـضـائـلـ وـ الـخـصـالـ الـحـمـيدـةـ وـ أـسـتـاذـ الـعـدـالـةـ وـ الـإـنـسـانـيـةـ وـ الـمـعـرـفـةـ وـ الـأـخـوـةـ وـ الـرـشـدـ وـ الـتـكـامـلـ وـ الـتـقـدـمـ الـدـائـمـيـ لـلـبـشـرـ حـتـىـ خـاتـمـ الـتـارـيخـ. مـتـىـ يـمـكـنـ لـلـبـشـرـ تـصـوـرـ زـمـنـ يـسـتـغـفـيـ فـيـهـ عـنـ هـذـهـ الدـرـوـسـ الـشـمـيـنـةـ؟ـ الـبـشـرـيـةـ الـيـوـمـ أـيـضاـ وـ كـمـاـ هـيـ دـوـمـاـ بـحـاجـةـ لـدـرـوـسـ رـسـوـلـ الإـسـلـامـ الـكـرـيمـ (صـ)ـ وـ تـعـلـيمـهـ.

نبي الإسلام..
معلم كل
الفضائل من
عدالة و إنسانية
و معرفة و أخوة
و رشد و تكامل

شرح الواقع
الراهن
للمسلمين و
الدعوة إلى
وحدة الأمة
الإسلامية

ما أروم قوله اليوم في هذا الجمع من النخبة والخواص من الأمة الإسلامية هو قضية الوحدة والاتحاد بين المسلمين. يواجه العالم الإسلامي والأمة الإسلامية راهناً مصائب و معضلات كبيرة. صحيح أن كثيراً من هذه المصائب نابعة من داخلنا نحن المسلمين، فقد أبدينا التقصير والكسل والأنانيات والتکالب على الدنيا، و لم نسر بذلك في طريق الأمة الإسلامية نحو قمم التكامل الإنساني، و علينا العودة و التعويض والتحرك والتوبة. ولكن ما من شك أيضاً في أن جانباً كبيراً و مهماً من حالات التأخر والمصائب المشكلات عندنا خلال الفترات التاريخية الأخيرة نجمت في الحقيقة عن النظام العالمي الباطل الذي ساد بالأمس واليوم. النظام العالمي نظام هيمنة

١. من كلمته في لقاء شرائح الشعب المختلفة بتاريخ ١٤/٤/٢٠٠٤ م.

و اقتدار يعتمد على التعسف و القوة، و ليس نظاماً يربو إلى حياة كريمة للبشر، بل هو نظام حياة الغابات.

انظروا لوضع العالم الإسلامي.. كنا لسنوات طوال نتذكّر قضية فلسطين باعتبارها جرحاً عميقاً في الجسد الإسلامي، و قد أضيف لها العراق اليوم! انظروا ما الذي يفعله العتاوة اعتماداً على القوة. يطروحون كل كلام خاطئ و غير منطق في العالم على أنه كلام صحيح و منطقي، و يعملون به اعتماداً على القوة و منطق السلاح و القوة السياسية و المالية. الجرائم التي تعدد في أعراف كل الشعوب في العالم جرائم، يمارسونها علانية، و يطلقون عليها أحياناً بعض المسميات للتغطية على حقيقتها، و هم يعلمون أن أحداً في العالم لا ينخدع بهذه المسميات، لكنهم في بعض الأحيان لا يضعون لها حتى هذه الأسماء و الأفتعة. الحكومة الصهيونية العاقبة تعلن صراحة إنني أعتقال النجدة من الفلسطينيين، و الحكومة الأمريكية تدعمها رسمياً و علناً! هذا هو الوضع في النظام العالمي اليوم.

يتحقق الإرهاب – و محاربته ذريعة بيد الحكومة الأمريكية المستكيرة لممارسة عسفها و جورها – صراحة باعتباره عملاً مشروعأً على ألسنتهم و في ممارسات الحكم الصهابية، وكل ذلك اعتماداً على القوة و السلاح.احتلال العراق عسكرياً و إهانة الشعب الكبير ذي ثقافة و إذلاله جريمة دولية، لكنهم يمارسون هذا العمل صراحة و تحت عنوانين حقوق الإنسان و الدفاع عن الديمقراطية و الحرية، و هو ما لا يصدقه منهم أحد في العالم، لأن تصرفات المحتلين داخل العراق على الضد تماماً من هذا الشيء، و واضح أنهم لا يأبهون لحقوق الإنسان و لحق الشعب في تعين حكومته، و لا يقيمون لذلك أدنى قيمة. هم ينصبون و هم يعينون الحكم و هم يسنون القانون و هم يعاقبون المخالف للقانون دون أية محاكمة، و العقوبة هي القتل الجماعي. لاحظوا ما الذي يجري في العراق! هذا هو واقع الأمة الإسلامية في الوقت الراهن.

تتعرض الأمة الإسلامية راهناً لأطماء القوى العاتية و تطاولها بسبب جريمة واحدة فقط هي وقوعها في منطقة من العالم ثرية، و لأن عجلة الحضارة الحالية في العالم لا

تدور إلا بالخيرات الموجودة بوفرة في هذه المنطقة من العالم. و العتاة في تطاولهم هذا لا يتورّعون عن ارتكاب أية جريمة بل يعتبرونها مشروعه لهم. هذا هو وضع الأمة الإسلامية! ألا تستطيع هذه الأمة الإسلامية الدفاع عن نفسها مقابل هذا التطاول والنهب الذي تمارسه القوى المتجرّبة؟ الجواب: بلـى، نحن نستطيع الدفاع، فلدينا الكثير من أدوات الدفاع عن حقوقنا و وجودنا. عدتنا و عدد السكان عندنا كبير، و لدينا ثروات عظيمة، و فينا أشخاص مميزون، و لدينا أرصدة معنوية تمنح لشعوبنا القدرة على الصمود مقابل العتاة، و لدينا ثقافة و حضارة ذات سوابق طويلة و نادرة النظير في العالم.. لدينا الكثير من الإمكانيات.. إذن، يمكننا أساساً الدفاع، و لكن لماذا لا ندافع؟! لماذا لا نستطيع فعل شيء عملياً على الصعيد الميداني؟ لأننا غير متعددين. لأنكم فصلونا عن بعضنا بذرائع شتى. جيش منظم عظيم و مجدهز اسمه الأمة الإسلامية قسمود إلى جماعات لا هم لها و لا غم سوي مواجهة و محاربة بعضها و الخوف من بعضها و مهاجمة بعضها و النيل من بعضها. في مثل هذه الظروف واضح أن هذا الجيش سيفقد كفاءته و لن يستطيع فعل شيء.

رسالة الدولية الحكومات و النخب المسلمين الثقافيين و الدينيين حيال وحدة العالم الإسلامي

لقد آن الأوان اليوم لأن يعيـد العالم الإسلامي النظر و يفكـر في قضية الوحدة جيداً. تهدـيدات أمريـكا في المنطقة حالياً ليست موجـهة لـبلـد أو بلـدين، بل موجـهة للـجـمـيع. تهدـيدات الرـأسـمـاليـن الصـهـاـيـرـة الـواقـفـين وراءـ المـيـاهـة الـحاـكـمـةـ فيـ أمريـكا لا تـكـفـيـ اليـومـ باـتـلـاعـ جـزـءـ منـ هـذـهـ الـمنـطـقـةـ، إـنـماـ يـرـيدـونـ اـبـتـلـاعـ كـلـ الـمنـطـقـةـ، وـ هـمـ يـعـلـمـونـ هـذـاـ الكلـامـ اليـوـمـ بـصـرـاحـةـ. مشـرـوعـ «ـالـشـرقـ الـأـوـسـطـ الـكـبـيرـ» ليسـ لهـ مـعـنـىـ سـوـىـ هـذـاـ. مـنـذـ خـمـسـيـنـ وـ تـيـفـ منـ السـنـيـنـ حـينـ تمـ تـأـسـيـسـ الحـكـمـةـ الصـهـيـونـيـةـ الـغـاصـبـةـ، وـ مـنـذـ نـحـوـ مـائـةـ عـامـ حـينـ اـبـتـقـتـ هـذـهـ الـفـكـرـةـ فيـ الـخـافـلـ الـغـرـبـيـةـ وـ الـأـوـرـبـيـةـ، كـانـتـ الـبـيـةـ مـنـعـقـدـةـ عـلـىـ اـبـتـلـاعـ هـذـهـ الـمـنـطـقـةـ وـ الـاسـتـيـلـاءـ عـلـيـهـاـ لـأـنـمـ هـيـ حـاجـةـ لـهـاـ. لـيـسـ سـكـانـ الـمـنـطـقـةـ مـهـمـيـنـ بـالـنـسـبـةـ لـهـمـ، وـ كـلـهـمـ مـعـرـضـوـنـ لـتـهـديـدـاـتـهـمـ. وـ حـينـ يـكـوـنـ الـكـلـ عـرـضـةـ لـلـتـهـديـدـ إـنـ أـعـقـلـ السـبـلـ هـوـ أـنـ يـفـكـرـ الـجـمـيعـ وـ يـضـعـونـ أـيـدـيـهـمـ فيـ أـيـدـيـ بـعـضـهـمـ. توـصـيـتـاـ وـ

مطالبتنا الحادة من الحكومات و الشعوب الإسلامية هو أن يفكروا بهذا الأمر و يعملوا في إطاره، و هو قضية تتطلب جهوداً و مقدمات. و يجب إعداد مقدماته. و العذر بطبيعة الحال لا يقدر عاطلاً عن العمل، و سوف يستخدم أدواته القديمة في التفرقة بين القوميات والماذاب و الطوائف، و يضخم الموضوعات التي أكده الإسلام على عدم تضخيمها. شدد الإسلام على أن القوميات ليست معياراً للهوية و تشخيص الأمور.. «إن أكرمكم عند الله أتقاكم». ^١ لقد أكده الإسلام أن الإخوة المسلمين يجب أن يتعاملوا في ما بينهم تعاملأً أخوياً، و لم يقل الإخوة السنة أو الشيعة أو أتباع المذهب الفلاسي، بل قال المسلمين: «إنما المؤمنون إخوة». ^٢ كل من يعتقد و يؤمن بهذا القرآن و بهذا الدين و بهذه القبلة فهم كلهم إخوة.. هذا ما قاله لنا الإسلام. لكننا نخفي الخنجر خلف أظهرنا لنتعلن بما صدور إخواننا! و ثمة مقصرون و مخطلون بين كل الفئات. يجب منع هؤلاء و مواجهتهم. الأمة الإسلامية اليوم بحاجة للوحدة من أجل حياتها و شموخها و نجاحها و رفعها راية الإسلام. أي منطق يمكنه المقاومة أمام هذه الأمور ليثبت الخلافات و التفرقة؟ الوحدة مرحبحة على كل الضرورات و الأولويات، و هي مقدمة عليها جميعاً. لماذا لا نفهم ضرورة الاتحاد بين المسلمين؟! ثمة على عاتقنا أعباء ثقيلة و الفترة حساسة. إذا استطاع الأعداء احتلال هذه المنطقة بالقوة فسوف يعود العالم الإسلامي لعصر الاستعمار و يتأنّر مائة عام أخرى و يزداد البون بين الأمة الإسلامية و العالم الحديث الصناعي مائة سنة إضافية. يجب أن نتحمّل المسؤولية فنحن اليوم مسؤولون. الحكومات و النخبة و الخواص و رجال الثقافة و الدين اليوم مسؤولون. كلنا مسؤولون حيال وحدة العالم الإسلامي. من أهم الكلمات التي كانت على لسان إمامنا الخميني الجليل (رضوان الله تعالى عليه) منذ ما قبل الثورة الإسلامية إلى آخر فترة من حياته و كان يؤكد عليها دائماً هي وحدة الأمة الإسلامية و الاتحاد بين المسلمين و عدم تضخيم القضايا الصغيرة. و نرى اليوم أنها كانت توصية

١. سورة الحجرات، الآية ١٣ .

٢. سورة الحجرات، الآية ١٠ .

جد حكيمه و صحيحة.^١

مميزات الأمة
الإسلامية من
بركات بعثة
رسول الإسلام
(ص)

تأسيس الأمة الإسلامية بهذه المخصوصيات والميزات الفريدة الفذة إحدى بركات هذه البعثة العظيمة. ليست الأمة الإسلامية مجرد عدد كبير من الناس يجتمعون حول محور عقدي واحد، بل الأمة الإسلامية – كما أراد لها نبی الإسلام العظيم و تعاليم القرآن الكريم – هي مجموعة من الناس يتحلون بالعلم والأخلاق والحكمة وال العلاقات السليمة فيما بينهم، ويشكلون مجتمعاً تسوده العدالة، ونتيجة كل هذا وصول الإنسان إلى ذروة التكامل الذي أودع الله تعالى في الإنسان قابلية الوصول إليه. الأمة الإسلامية مظهر التربية الإسلامية، وهذا ما بدأه نبی الإسلام الكريم (ص) من الصفر في أصعب الظروف.

يوم خرجت صرخة التوحيد من حنجرة رسول الإسلام الأكرم (ص) بعد لحظة البعثة العظيمة، كان العالم – في كل أقطاره وأرجائه – عالم كفر وظلم وبعد عن الأخلاق، و عملاً يغرق فيه الإنسان في أنواع المشكلات والمجاالت. حصلت هذه الحركة العظيمة في حياة الرسول الأكرم (ص) بنحو معجز خلال ثلاثة عشر عاماً فقط، و بعد ثلاثة عشر عاماً انعقدت النطفة الأولى للأمة الإسلامية في المدينة المنورة. و ما كان بمقدوره أن يدلل هذه النواة المركزية إلى ما نعرفه عن الأمة الإسلامية في القرنين الرابع والخامس للهجرة هو الإيمان الواضح وال تعاليم الواضحة والشاملة والعزيزة الراسخة والجهاد المستمر. هذه هي الأمور التي استطاعت تحويل ذلك المجتمع الصغير المؤلف من عدة آلاف من الأشخاص في المدينة المنورة في السنوات الأولى للهجرة إلى أمة عظيمة و مقتدرة و عالمية و عزيزة تمثل ينبعاً متدفعاً على العالم بالعلم والحكمة خلال القرنين الرابع والخامس للهجرة – و هذا ما يشرحه لنا التاريخ – ثم إن الأمة الإسلامية في منعطفاتها و ملابساتها، أين ما غفلت عن تلك التعاليم مُنيت بالهزيمة والتراجع. أين ما حصل بتجاهل للعلم والأخلاق و العلاقات الاجتماعية والاقتدار

١. من كلمته في لقاءه مدراء الدولة و الضيوف المشاركين في مؤتمر الوحدة الإسلامية بتاريخ ٥/٠٧/٢٠٠٤ م.

المعنوي والعزّة والوحدة، وفوق كل ذلك العدالة، توقف رشد الأمة الإسلامية وترجعت ووصل الأمر إلى حد استطاعت معه القوى الطامعة المعتدية المتطاولة تمزيق هذه الأمة، وفرض تمزيق بعضها ببعضها من أجل أن تتسلط هي عليها و تستحوذ على مصادرها و خيراها.

بداية الصحوة الإسلامية المعاصرة.. الهجوم الشامل للاستكبار على الشعوب المسلمة

بدأت الصحوة الإسلامية في الحقبة المعاصرة منذ عشرات الأعوام و إلى الآن بفضل تلك التعاليم و العودة إليها، وأعيد رفع راية التوحيد لترفرف، وكانت ذروة هذه العملية تأسيس نظام الجمهورية الإسلامية في هذه المنطقة الحساسة من العالم الإسلامي، حيث شعر المسلمون من خلال هذا الحدث بالموهبة و العزة أكثر. و نحن اليوم مرة أخرى أمام نفس تلك التجربة التي مرت بها الأمة الإسلامية في القرون التي بدأت فيها فترة انحطاطها و زوالها. اليوم أيضاً تشن على الأمة الإسلامية حرب ليقتلوا هذه النطفة في مهدها. اليوم أيضاً تشن القوى الجشعة المستكيرة بداعي طمعها بمصادر العالم الإسلامي العظيمة و ذخائره الطبيعية و الإنسانية اللامتناهية - كما يصرحون هم أنفسهم - حرياً برأيات زائفة مزورة يرفعها الاستكبار، هي رأيات الديمقراطية و الحرية. فحقيقة القضية شيء آخر. حقيقة القضية القضاء على عنصر العزة لدى الأمة الإسلامية، ألا و هو الإسلام. حقيقة القضية هو القضاء على مراكز المقاومة، لكن لا تبقى أية عقبة أمام الناهبين الشرهين في هذه المنطقة.

يوم أبدينا الضعف و التقاعس، تقدم العدو و اجتاحتنا بنفس المقدار. و في الوقت الحاضر يعاني كل مكان من العالم الإسلامي من المصائب و الوبيلات. فلسطين تعاني المصائب، و العراق يعاني المصائب، و أفغانستان تعاني المصائب، و الكثير من البلدان الإسلامية معرضة للتهديد من قبل هؤلاء الناهبين المستكبرين. إننا نستطيع عبر التمسك بالإسلام التغلب على هذا الضعف و الخور، و الوقوف بوجه الأعداء. ما يحتاجه العالم الإسلامي اليوم أحسن الحاجة هو وحدة الكلمة. قلوب الشعوب المسلمة مملوءة قيحاً من ظلم الاستكبار و أعداء الإسلام. قلوب الشعوب المسلمة مكتظة

بالمهموم و الغمّ و العقد و حناجرهم مزدحمة بالصرخات لما يشاهدونه في العراق و فلسطين و أفغانستان اليوم. و على الحكومات الإسلامية أن توظف هذه الطاقات و القوى المتر acumma. ¹

**وحدة المسلمين
واجب عقلاني
على عاتق الأمة
الإسلامية**

نبارك الميلاد السعيد لسيدنا خاتم النبيين و سيد البشر النبي محمد المصطفى (صلى الله عليه و آله و سلم) و الولادة السعيدة لسيدنا الإمام جعفر الصادق (عليه الصلاة و السلام) لكم أيها الحضور المحتمون و الضيوف الأعزاء و سفراء البلدان الإسلامية و كل الشعب الإيراني و الأمة الإسلامية الكبرى في جميع أرجاء العالم.

لقد أضحتي هذا الاسم و هذه المناسبة يبننا معياراً للوحدة. لذلك جعلنا اسم هذا الأسبوع من الثاني عشر من ربيع الأول (ولادة هذا الإنسان العظيم على رواية) إلى السابع عشر من ربيع الأول (ولادته على رواية أخرى) أسبوع الوحدة. أولأ لأن وحدة الأمة الإسلامية هي اليوم و دائمأ أحد أهم احتياجات هذه الأمة. و ثانياً لأن معيار الوحدة و محور الاتحاد بين المسلمين هو الوجود المقدس لنبي الإسلام المكرم و ذكراه و اسمه (ص).

تحدثنا كثيراً عن الوحدة. و لو عملنا ببعض الذي قلناه لكان مصير المسلمين اليوم أفضل مما هو عليه. توجد بشكل طبيعي عوامل مضادة للوحدة – من قبيل التباينات القومية والمذهبية و الطائفية و السياسية – و يجب مجاحتها. يجب بالاعتماد على الاسم المقدس للرسول الأعظم و ذكراه (ص) – و هو محور وحدة الأمة الإسلامية – التغلب على هذه الاختلافات. لكن الأصعب من هذا هو أسباب التفرقة التي تُتحقق بها الأمة الإسلامية. على خلفية هذه الاختلافات القومية و الطائفية و المذهبية يعمل أعداء الإسلام وفقاً لسياساتهم الدائمة على بث الخلافات و النزاعات بين المسلمين. يمكن مشاهدة أيدي الأعداء و مؤامراتهم و تدابيرهم خلف هذه الخلافات و النزاعات بكل وضوح. و ينبغي معالجة هذه المشكلة. يجب على عقلاء الأمة من كل فرقه أن لا

١. من كلمته في لقاءه مدراء الدولة بمناسبة يوم المبعث النبوى الشريف، بتاريخ ١٣/٠٩/٢٠٠٤ م.

يسمحوا لأمواج الفتنة - التي تثار من قبل أعداء الإسلام - بتهدد المدوع و الألفة و المحبة بين المسلمين باطراد.

القرآن الكريم يوصينا بالوحدة. و القرآن يهدىنا بأننا إذا فقدنا اتحادنا و تضامننا فإن ماء وجهنا و هويتنا و قدرتنا ستذهب أدراج الرياح. و للأسف فإن مثل هذه المشكلات و نقاط الخلل تلاحظ اليوم في العالم الإسلامي. المؤامرة ضد العالم الإسلامي اليوم كبيرة جداً. إذا كانت المؤامرات المدببة المنظمة قد اشتدت في الوقت الحاضر ضد الإسلام فذلك لأن الصحوة الإسلامية قد أفرغت الأعداء. الاستكبار العالمي و الطامعون في البلدان الإسلامية و المتدخلون بين الحكومات و البلدان الإسلامية يخالفون وحدة الأمة الإسلامية.

قرابة مليار و نصف المليار من سكان الأرض هم مسلمون و يسكنون في واحدة من أهم و أثمن بقاع الأرض. كل هذه المصادر الطبيعية، وكل هذا التراث العظيم، وكل هذه الطاقات البشرية و المواعظ الكفوة، و هذا السوق الكبير للبضائع الغربية، و هذا النفط و الغاز الشمين الموجود في هذه البلدان، هذه أشياء تغري القوى المستكيرة، لذا يرثون الميئنة و التسلط التام عليها، لكن صحوة الأمة الإسلامية تحول دون ذلك. وحدة الأمة الإسلامية أكبر سداً في وجه هؤلاء الأعداء، لذلك يستخدمون كل طاقتهم و قواهم لتحطيم هذا السداً.

قيام الدولة الإسلامية في إيران و رفع راية التوحيد في هذا البلد - هذا المركز الحساس و المنطقة المهمة - أثارت هياج الأمة الإسلامية و بعثت على صحوتها و وعيها، و بثت فيها الأمل في مصيرها و قدراتها و أعادت لها ثقتها بالنفس. هذه الصحوة و الثقة بالنفس دفعت الأعداء إلى مخططات معقدة، و هي مخططات تتنصب أمامنا اليوم. إنهم يعارضون العالم الإسلامي كله، فهم يعارضون وجود الإسلام و تعاليمه. رئيس جمهورية أمريكا تحدث صراحة عن حرب صلبية. و الأجهزة الاستكبارية - أمريكا و الصهيونية - تسمم الأجواء دوماً بإعلامها، لتزرع الخلافات و تشعل التزاعات بين البلدان و الحكومات الإسلامية.

**أسباب تذرع
الأعداء بحقوق
الإنسان و
محاربة الإرهاب**

أعداء الإسلام يعانون من فقر فكري و نظري، فهم لا يملكون الفكر الذي يمكنهم طرحه في العالم الإسلامي، وليس لديهم المدرسة و الأفكار الراقية التي تستطيع اجتذاب قلوب النخبة في العالم الإسلامي إليها، و لا يمكنهم عرض مثل هذه الأمور، لذلك يرفعون لاجتذاب قلوب الغافلين راية حقوق الإنسان و معاداة الإرهاب. هذا في حين أن أمريكا و الصهيونية و هؤلاء المستكبرين هم أنفسهم أكبر منتهك لحقوق الإنسان، فقد جرحوها بجرائمهم ضد حقوق الإنسان مشاعر العالم.

أية حكومة أم أية جماعة تصاهي الكيان الصهيوني في تعاملها الشقي السيئ مع شعب أو جماعة إنسانية معينة؟ أية حكومة مستكيرة تعاملت مع الشعوب المسلمة بكل هذا الاستكبار الذي تنتهجه أمريكا اليوم؟ لقد رَكَزوا إعلامهم اليوم ضد الجمهورية الإسلامية الإيرانية، لأن فيها خيرة الوجوه المدافعة عن الإسلام، و مصالحهم هنا مهددة أكثر من أي مكان آخر. على أن المدف ليس الجمهورية الإسلامية فقط، إنما هم يريدون المهيمنة على كل العالم الإسلامي، و كل الشرق الأوسط، و يريدون السيطرة على كل البلدان الإسلامية و الاستحواذ عليها بقضائهم الجرمية الآثمة. لو استطاعوا الوصول إلى أهدافهم ل تعرضت الحكومات الوحيدة تلو الأخرى للخطر و التهديد. في حال تنصير المسلمين و الشعوب لما سلمت سوريا و مصر و العربية و السودان و بلدان أفريقيا و بلدان الشرق الأوسط و البلدان الإسلامية في شرق آسيا من تطاول هؤلاء الناهبين العالميين. هذا تحذير للعالم الإسلامي.

يتحمّل النخبة و السياسيون في العالم الإسلامي اليوم مسؤوليات جسيمة، فليفضحوا الناهبين في بلدانهم و في المناطق التي لهم و لكلامهم فيها نفوذ، و ليحيطوا مفعول إعلامهم الخبيث ضد الإسلام بكل عزم، و لا يسمحوا لمخططاتهم بأن تؤتي أكلها. هذه مسؤولية على عاتقنا جميعاً.

تظاهرة القوى الكبرى بالاقتدار أكبر من اقتدارها الحقيقي. ذات يوم لم يكونوا راضين بوجود الجمهورية الإسلامية، و اليوم فإن عمر الجمهورية الإسلامية ست وعشرون سنة، و في كل يوم نحرز تقدماً بلطف الله و حوله و قوته أكثر من اليوم

السابق. إنهم يتظاهرون بالاقتدار من أجل إخافة الشعوب بجسائمهم وأهّتهم ووجوههم العبوسة. بيد أن حقيقة الأمر هي قدراتهم ليست كما يُوهمون. لقد بقيت أمريكا اليوم تتخطى في مستنقع العراق وأفغانستان.

العالم الإسلامي لديه قوى كامنة. وتقع مسؤوليات كبيرة على علماء الدين والمثقفين والسياسيين والجماعات والجمعيات وأصحاب الأقلام والخطباء وكل الذين لهم منابر دولية أو وطنية في أي بلد من البلدان.

اربطوا على قلوب المسلمين، وطمئنوه من قدراتهم الذاتية وادفعوه إلى تعزيز قواهم الداخلية بالعلم والعقل والتدبر، وشجعوه على الوقوف بوجه منطق القوة الذي يعتمد العتا في العالم. لقد وعد الله تعالى: «من كان لله كأن الله له»^١، «وَالَّذِينَ جاهدوا فِي نَهْدِيْهِمْ سَبَلًا وَإِنَّ اللَّهَ لِمَعِ الْمُحْسِنِينَ»^٢، اللَّهُ أَعْزَّ وَجْلَ سُوفَ يَمْدَدْ يَدَ العون ويهدي ويرشد. لقد علم إمامنا الخميني الجليل هذا الدرس قوله عملاً لشعب إيران، ورأى الشعب تنتائج وثماره بعينيه، و العالم شاهد على هذا المعنى.

لا شك في أن الوعد الإلهي القائل: «وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لِيُسْتَخْلِفُنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ دِينُهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ»^٣، وعد عمل سوف يتمحق. وشرطه هو الصمود والاستقامة وعدم إضاعة الطريق وعدم تضييع المهد و الحفاظ على الوحدة والتوكيل على الله تعالى.^٤

**يوم المبعث عيد
البشرية كلها
عبر التاريخ**

١. شرح أصول الكافي، ج ١ ، ص ٦٠٤ .

٢. سورة العنكبوت، الآية ٦٩ .

٣. سورة النور، الآية ٥٥ .

٤. من كلماته في لقاءه مدراء الجمهورية الإسلامية الإيرانية وسفراء البلدان الإسلامية مبنية على ولادة الرسول الأعظم (ص) في تاريخ ٦/٥/٢٠٠٥ م.

النائمة نحو الكمال و العلم و الأخلاق و العدالة، و قربوها خطوة من الكمال الإنساني. كل حالات التعلق البشري على مدى التاريخ ناجمة عن تعاليم الأنبياء. الأخلاق الإنسانية – وهي التي توفر للإنسان إمكانية مواصلة الحياة – و الفضائل الأخلاقية كلها من تعاليم الأنبياء. فكرة التوحيد و العبودية أمام الله درس من دروس الأنبياء. الأنبياء و الرسل يعلّمون الحياة للبشر و يجعلونها ساحة للرشد و الحركة و التكامل. و رسول الإسلام المكرم (صلى الله عليه و آله و سلم) خاتم الرسل و الأنبياء و المبعوث بالكلام النهائي الأخير الذي لا نهاية له للبشرية.

نحن المسلمين يجب علينا بطبيعة الحال أن نعرف قدر ذلك. و علينا التفكير في ظاهرةبعثة، و استلهام الدروس منها. علينا تحويل هذا الماضي المشرق إلى نبراس في طريقنا نحو مستقبلنا الصعب.

توجد في العالم اليوم عدة حقائق لا سبيل لإنكارها. الحقيقة الأولى صحوة العالم الإسلامي. فهذا مما لا يمكن لأحد الشك فيه. يشعر مسلمو العالم في كل أنحاء العالم اليوم – سواء في البلدان الإسلامية أو في البلدان التي يشكلون فيها أقلية – بالميل نحو الإسلام و باستعادة هويتهم الإسلامية. المثقفون في العالم الإسلامي اليوم متربّعون من الاشتراكية و المدارس الغربية و ميالون نحو الإسلام، و يطلبون علاج آلام البشرية من الإسلام، و يستفونه في ذلك. قلوب أبناء الأمة الإسلامية في الوقت الراهن لها تنوع نحو الإسلام غير مسبوق طوال قرون. بعد الهيمنة السياسية و الثقافية الشديدة و الواسعة للغرب و الشرق طوال عقود من الزمن على البلدان الإسلامية، راح الشباب في العالم الإسلامي حالياً ينظرون للإسلام. هذه حقيقة يعترف بها الغربيون و مستكرو العالم أنفسهم. لقد كرروا مراراً أنه في أي بلد من البلدان الإسلامية إذا أقيمت انتخابات حرة سيكون الفائزون عناصر تعتقد و تلتزم بالإسلام و تدعو إلى الإسلام. و لهذا فإن مزاعم الديمقراطية و إرادة الديمقراطية التي يطلقها الغرب اليوم مزاعم متناقضة. من جهة يرفضون رأية الديمقراطية و ينادون بها، و من جهة أخرى لا يتجزأون على رفع هذه الرأية بصورة حقيقة في العالم الإسلامي، لأنهم يعلمون أنه في أي بلد من البلدان الإسلامية إذا كان القرار لأصوات الشعب و انتخابه فإن الإسلاميين دون شك سوف يمسكون بزمام

حقائق العالم المعاصر و ضرورة التنّبّه لها : ١ - صحوة العالم الإسلامي

السلطة و الحكم، و هم الذين سنتخفهم الجماهير.

العالم الغربي و أمريكا و صنّاع الفكر السياسي الغربي – الصهاينة و الأروقة الرأسمالية الغربية – يعلمون اليوم جيداً أن التحرّك العظيم للشعب الفلسطيني ناتج عن ميله لِلإسلام. فقد جعل هذا الشعب الإسلام محور تحركه فاكتسب بذلك الشجاعة و ألقى بنفسه في طوافات الجهاد بالمعنى الحقيقي لِلكلمة. أين ما اكتسب شعب مثل هذه الروح فلن تستطيع أية قوة – قوة عسكرية أو غير عسكرية – مواجهته و قمعه و التغلب عليه. هذا ما يفهمونه جيداً. و قضايا العالم الإسلامي و أحدهاته كلها تؤيد هذه الحقيقة. هذه حقيقة أكيدة و هي قيام الصحوة الإسلامية بل النهضة الإسلامية في العالم الإسلامي اليوم. ما من أحد بوسعه إنكار هذه الحقيقة.

٢ - إسلام التفكير و التعمر و التحرر الفكري.. المظهر الحقيقى للحصوة الإسلامية

الحقيقة الثانية هي أن القوى المستكيرة العدو رقم واحد لهذه الصحوة و الترعة الإسلامية و النهضة التحررية. و السبب واضح، لأن الإسلام يعارض المهيمنة، و يعارض تبعية الشعوب للقوى الأجنبية، و لا يرضى بالتخلف العلمي و العملي – الذي فرض على البلدان الإسلامية سنين طويلة – و يخالف تقليد الشعوب للآخرين تقليداً محضاً أعمى. هذا كلّه على الضد من السياسات الاستعمارية و الاستكبارية التي فرضت طوال مائتي عام أو أكثر من قبل المستكيرين و الغربيين على العالم الإسلامي. و اليوم أيضاً يقرّرون لأنفسهم مصالح في هذه المنطقة. و الصحوة الإسلامية تقف على التقى تماماً من إراداتهم، لذلك يعارضونها بكل قواهم و بكل الوسائل السياسية و الإعلامية.

يستخدمون اليوم كل الأساليب و الحيل الإعلامية ضد الإسلام. انظروا اليوم و لاحظوا كم هو معقد و واسع ما تقوم به الحكومات الغربية – سواء في أمريكا أو في أوروبا – ضد المسلمين و الإسلام. كل الأدوات الفنية في متناول أيديهم و يستخدمونها لخدمة هذا المهدف الدرن. يمارسون العداء ضد الإسلام بأعلى درجاته الممكنة ممزوجاً بالأنشطة الثقافية و الأمنية و السياسية و العسكرية. هذه أيضاً حقيقة ناصعة و أكيدة. الحقيقة الثالثة – و الكل يعلم بهذه الحقيقة، رغم أن الكثيرين ينكروها – هي أن مظهر هذه الصحوة الإسلامية ليسوا الذين يعرضون وجهاً إرهابياً في العالم الإسلامي.

الذين يرتكبون هذه الجرائم في العراق، و الذين يعملون في العالم الإسلامي باسم الإسلام ضد المسلمين، و الذين يجعلون أهم واجباتهم تأجيج الخلافات بين المسلمين – تحت عناوين الشيعة و السنة و القوميات المتعددة – هؤلاء لا يمكنهم بأي حال من الأحوال أن يمثلوا الصحوة الإسلامية و يرمزوا لها. و هذا ما يعلمه المستكبرون أنفسهم. الذين يحاولون عرض الإسلام على العالم الغربي في إطار الجماعات المتحجرة و الإرهابية، يعلمون جيداً أن الحقيقة شيء آخر. الإسلام الذي يشعر العالم الإسلامي راهناً بصحوة الانحدار نحوه هو إسلام الفكر و التفكّر و التعمق و الطرح الجديد.. إسلام حلول مشكلات الحياة لفتح العقد في الحياة الإنسانية، و ليس إسلام التحرّر، و لا إسلام العيون المغمضة، و لا إسلام البعد عن كل ألوان التحرّر الفكري. هذا شيء يفهمه المستكبرون.

الحقيقة الأخرى هي أن العالم الغربي بكل قواه و قدراته لم يستطع التغلب على الصحوة الإسلامية. يمارسون الإعلام و الدعاية بهذه الكثافة في شتى أنحاء العالم الإسلامي ضد الإسلام و ضد الجمهورية الإسلامية و ضد القادة و المصلحين الإسلاميين الكبار و ضد الأحكام الإسلامية، و يعدّون و يخترّجون كل هذه الأعداد من المرتزقة لشتم الإسلام و اتهامه و اهانة حكامه، و يستخدمون الأوراق و الضغوط العسكرية، و يستخدمون الضغوط الاقتصادية، و يلجمون للحرب الإعلامية الواسعة بشكل عجيب و المدهش، لكنهم لم يفلحوا لحد الآن. الميل الغالبة للشباب المسلم في البلدان الإسلامية هي باتجاه الإسلام و التفكير الإسلامي. هذا الوجه و الشوق و التطلع يزداد في قلوب أبناء الشعوب المسلمة يوماً بعد آخر.

ما يتربّب على هذه الحقائق هو أن العالم الإسلامي يجب أن يعرف قدر هذا الواقع. السبيل الوحيد الذي أمام العالم الإسلامي اليوم لصيانة مصالح الشعوب المسلمة هو توحيد الكلمة حول محور الإسلام، و قول «لا» للأهداف و المطامع الاستعمارية للأعداء و المستكبرين. هدف الاستكبار هو محـو الهوية الوطنية و الدينية في العالم الإسلامي، و خصوصاً في الشرق الأوسط. مواجهة هذه الأهداف ممكنة بمزيد من الاتخاد

و التضامن و التمسك بالإسلام و الدعوة للإسلام و الوقوف بوجه أطماع أمريكا و جشع المستكبرين، و لا سبيل غير ذلك. أمريكا اليوم وجهٌ مخزيٌ و غير مرغوب به في كل العالم. لقد سحق الأمريكان اليوم كل شعاراتهم تحت أقدامهم بما يمارسونه من أعمال. الضغوط التي يمارسها الأمريكان حالياً في العراق، و انعدام الأمن هناك، و دعمهم غير المشروط للصهاينة القتلة السفاحين، و الفحاجع التي يرتكبونها في أفغانستان، و الضغوط التي يمارسونها على الحكومات الإسلامية، هذه كلها صنعت حالياً من أمريكا وجهأً كريهاً مقوتاً في العالم الإسلامي. بوسع العالم الإسلامي اليوم الوقوف بوجه هذه القوة الجشعة، و يجب أن تقف بوجهها، و لا سبيل أمامها سوى المقاومة و الصمود.

على الحكومات الإسلامية من أجل الحفاظ على مصالحها الوطنية، و لأجل استقطاب عواطف شعريهما، و لأداء مسؤولياتها التاريخية، يجب عليها أن تعتمد على المحاور الأساسية لطوية الأمة الإسلامية. عليها أن تدافع بصرامة عن الشعب الفلسطيني، و عن كامل استقلال العراق، و منح الشعب العراقي كامل حرّيته و اختياره، و أن تدافع عن شعب أفغانستان، و عن الشعوب المسلمة في أوروبا و آسيا و أفريقيا، و عن الهوية القرآنية و عن أحكام القرآن الكريم في البلدان الإسلامية. و عليها توثيق علاقتها في ما بينها، و أن تكون صادقة مع بعضها، و أن تساعد بعضها، و أن يأخذ بعضها بأيدي بعض. عندئذ ستستطيع الأمة الإسلامية إنقاذ نفسها من تحت نير الاستكبار، و اجتياز التهديدات التي يشكلها الاستكبار للعالم الإسلامي.^١

دروس الرسول الأكرم (ص) و واجب الجميع في مراجعتها و العمل بها

في هذه المرحلة من الزمن يسلو اسم الرسول الأعظم (ص) و ذكره أكثر حيوية و حضوراً من أي وقت آخر. و هذه من تدابير الحكم و الألطاف الإلهية الخفية. الأمة الإسلامية و شعبنا في الوقت الحاضر أحوج من أي وقت مضى لرسوله الأعظم محمد (ص). إننا بحاجة لهدياته و بشائره و إنذاره و رسالته و معنوياته و رحمته التي لقنتها

١. من كلمته في لقائه المسؤولين و المدراء في الجمهورية الإسلامية الإيرانية بمناسبة المبعث النبوي الشريف، بتاريخ ٢٠٠٩/٠٢ م.

دروسأً للبشرية. درس رسول الإسلام الكريم (ص) لأمته و لكل الإنسانية في الوقت الراهن، هو أن تكون علماء و نكون أقوياء، و هو درس الأخلاق و الكرامة و درس الرحمة و درس الجهاد و العزة و درس المقاومة. و إذن، فاسم هذه السنة هو بشكل طبيعي الاسم المبارك لرسول الإسلام الأعظم (ص). في ظل هذا الاسم و هذه الذكرى يجب على شعبنا أن يراجع دروس الرسول الأكرم، و يجعل منها دروسأً لحياته و برامجه الجارية. شعبنا يفخر بتتلذذه في المدرسة النبوية و تلقيه الدروس الخمديّة. شعبنا يرفع مقاومة و قوة راية الإسلام بين أبناء الأمة الإسلامية. و قد صبر على الصعاب، و شاهد ثمار المشاركة و التواجد في ساحة الشرف و المجد هذه، و ستكون هناك في المستقبل مزيد من النجاحات و الثمار بفضل من الله.

يجب علينا أدرج دروس الرسول الأخلاقية و دروسه في العزة و في طلب العلم و تحصيل الحكمة و الكرامة و دروسه في الوحدة، و هي كلها دروس حياتنا، يجب أدرجها ضمن خطط حياتنا.

ثمة في وسط الساحة اليوم حكومة مصممة و خادمة، و شعب جاهز للعمل و مفعم بالأمل، و شباب متّحمس موهوب.. هؤلاء متواجدون في هذه الأرض، و هذه بشارة كبرى لمستقبل بلادنا و شعبنا.

نسأل الله تعالى أن يرضي عنا الروح الطاهرة لرسولنا الأعظم (ص)، و أن يزيد دوماً من بركاته على هذا الرسول الكريم، رسول الرحمة و العزة، و على أمته. و نسأل الله أن يسرّ القلب المقدس لإمامنا المهدي المنتظر (أرواحنا فداء)، و يمنّ علينا بال توفيق و التأييد في السير على هذا الـ^١ الدرب الصعب.

رسول الإسلام مجمع كل فضائل الأنبياء و الأولياء

هذه السنة هي سنة رسول الإسلام الأعظم (ص)، و اسمه يزيّن عامنا هذا. و ما عسانا نقول حول رسول الإسلام الأكرم؟ سوى أن نقول إنه مجمع كل فضائل كل الأنبياء و الأولياء. إنه الشكل التام و الكامل لكل الفضائل التي ظهرت طوال التاريخ

١. من ندائه بمناسبة حلول العام الإبراني ١٣٨٥ هـ، الموافق لـ ٢٠٠٦/٣/٢١ م.

في سلسلة الأنبياء والأولياء الإلهيين. يقول الشاعر: «اسم أحد اسم كل الأنبياء، إذا كان لدينا المائة فلدينا التسعين داخل هذه المائة». ^١

حين نذكر اسم الرسول الأعظم، وكم شخصية النبي إبراهيم، وشخصية النبي نوح، وشخصية النبي موسى، وشخصية النبي عيسى، وشخصية لقمان، وشخصيات كل عباد الله الصالحين، وشخصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وأئمة المهدى (عليهم السلام) مجتمعة مجسدة في هذا الوجود المقدس. يمكن تشبيه الرسول الأعظم (ص) بأزهر نجم في سماء الكائنات، وتعبير بهذا الشكل عن ذلك الوجود الكبير المقدس. لماذا نقول إنه نجم زاهر، ولا نقول إنه شمس؟ لأن للشمس جسم وكتلة معينة ومحدة، وهي نيرة وعظيمة، لكنها بالتالي كرة وكتلة سماوية. ولكن في هذه النجوم التي تروحا هناك في بعض النجوم مجرّات أكبر آلاف المرات من الجرة التي نراها فوق رؤوسنا في السماء ليالي الصيف. الجرة هي مجموعة من آلاف المنظومات والشمسيّن. ورسول الإسلام الأعظم (ص) كان أشبه بالجرة التي فيها آلاف الشمسيّن المشرقة بالفضائل. العلم في رسول الله الأكرم متنزج بالأخلاق، وحُبّ الله بحب مخلوقات الله، والعزّة باليقظة والتواضع والترابية، والعصرية ببعد النظر، والصدق مع الناس بالحكمة والتعقيبات السياسية، وغرق الروح في ذكر الله بالخوض في شؤون الصلح وسلامة الجسم.. الدنيا والآخرة مجتمعتان فيه، وقد جمع كذلك بين الأهداف الإلهية السامية والأهداف الجاذبة للبشر. إنه نموذج كامل لم يخلق الله تعالى في عالم الوجود مخلوقاً أكمل منه. إنه المبشر والمنذر والشاهد والشرف على كل البشرية. وهو داعي كل البشرية إلى الله والسراج المنير الذي يضيء للناس طريقهم. «إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً». ^٢

سنة الرسول الأعظم (ص) سنة هذا الوجود الشبيه بال مجرّات حكومتنا وشعبنا. هذا

١. مثنوي معنوي، جلال الدين المولوي الريومي، الكتاب الأول.

٢. سورة الأحزاب، الآيات ٤٥ و ٤٦ .

بالإضافة إلى أن وجود الرسول الأكرم (ص) على الصعيد الدولي نقطة التقاء معتقدات وعواطف كل الشعوب المسلمة. الكيان المبارك لرسول الإسلام العظيم هو القطب الذي تلتقي عنده كل القوميات وكل المذاهب والطوائف في الأمة الإسلامية بكل معتقداتها وعواطفها. أن نكون في مثل هذا العام وبمثل هذا الاسم فهذا يضع على عواتقنا تكاليف وواجبات جسمية. على شعبنا وحكومتنا في هذا العام أن يعملوا بنحو منسجم مع الحكمة النبوية والعلم النبوي والحكومة النبوية والعدالة النبوية والأخلاق والكرامة النبوية والتواضع والعزّة النبوية، والجهاد والرحمة النبوية. و هذه بالطبع ليست مهامات سنة واحدة، كما أن الرسول الأكرم (ص) ليس رسول سنة واحدة، فكل السنين سني رسول الله، وكل التاريخ تاريخ الرسول محمد (ص). لكن هذا يعني أن علينا في هذه السنة قطع خطوات كبيرة وضخمة وإنجاز أعمال ممتازة على سبيل بناء مثل هذا المجتمع والعالم الذي قصده رسولنا الكريم. سنة الرسول الأكرم سنة النظارات البعيدة المدى وسنة العمل والجهاد والخدمة وسنة البرمة الوعية الدقيقة لمستقبل البلاد. إنما سنة التحرك إلى الأمام.^١

تسمية هذه السنة باسم رسول الله المبارك لها رسالة، و يجب أن تلتقي هذه الرسالة بكل كياننا و قلوبنا، و نسير بمقتضاها، و ليس الأمر أن نبارك عالمنا هذا باسم رسول الإسلام الأكرم (ص). و الرسالة هي أن مجتمعنا – أفراداً و جماعات – يجب أن يقتربوا يوماً بعد آخر من الشيء الذي عقد رسولنا الكريم العزم عليه و جاهد و حَدَّ في سبيله. لا يمكن تلخيص الأهداف السامية لرسول الإسلام (ص) في جملة واحدة، و لكن يمكن تسجيل عناوين لها لجعلها نصب أعيننا و منهاج حياتنا طوال عام و طوال عقد و طوال عمر بأكمله.

**رسالة تسمية
سنة باسم
الرسول الأكرم
(ص)**

١. من كلمته في الروضة الرضوية المقدسة بداية العام الإبراني ١٣٨٥ هـ، الموافق لـ ٢٠٠٦/٣/٢١ م.

الأهداف العليا لرسول الإسلام: ١ - إتمام مكارم الأخلاق

من العناوين العامة في إطار أهداف رسول الإسلام الكريم إتمام مكارم الأخلاق: «بعثت لأنتم مكارم الأخلاق». ^١ المجتمع من دون التحلية بالأخلاق الحسنة لا يمكنه تحقيق الأهداف السامية المراده من بعثة الرسول. ما يأخذ الفرد و المجتمع إلى المراتب الإنسانية السامية هو الأخلاق الحسنة. و الأخلاق الحسنة ليست التعامل بأخلاق مع الناس فقط، بل بمعنى تربية الصفات الحسنة و الأخلاق الفاضلة في القلب و الروح، و انعكاسها في الأعمال و التصرفات. الناس الذين يسود الحسد حياتهم، و يريدون الشر و السوء لبعضهم، و يحتالون على بعضهم، و يعيشون حالات الحرث على الدنيا و البخل بالمال، و الحقد على الآخرين، في مثل هذا المجتمع حتى لو تم تطبيق القانون بشكل دقيق لن تتوفر السعادة و الراحة. و حتى لو تطور العلم و تناست الحضارة الظاهرية لتصل إلى ذروة العظمة و الجلال، فلن يكون ذلك المجتمع المجتمع الإنساني المشود. المجتمع الذي يشعر الأفراد فيه بانعدام الأمان من بعضهم، و يشعر كل واحد من أفراده بأنه محسود من قبل الآخرين و أن الآخرين يكرون له السوء و الضغينة و الحقد و يتآمرون عليه، و ينظرون بعين الحرص له و لأمواله و ممتلكاته، مثل هذا المجتمع لن يعيش الراحة طبعاً. أما إذا سادت المجتمع الفضائل الأخلاقية و تتغلغلت في قلوب الناس و أرواحهم، و كان الناس عطوفين بعضهم تجاه بعض، و يتعاملون في ما بينهم بالصفح و العفو و التسامح و التجاوز، و لا يحرضون على مال الدنيا، و لا يبخلون بما لديهم، و لا يحسدون بعضهم، و لا يعرقلون سبل تقدم الآخرين، و يتحللون بالصبر و الأناء و التحمل، مثل هذا المجتمع حتى لو كان من الناحية المادية غير متقدم تقدماً كبيراً، فإن أهله سيشعرون بالراحة و الطمأنينة و السعادة. هذه هي الأخلاق. و هذا ما نحتاج له. علينا تربية الأخلاق الإسلامية في قلوبنا باستمرار. القوانين الفردية و الاجتماعية الإسلامية لها مكانها و مكانتها و هي وسيلة لإسعاد البشر (هذا مما لا شك فيه)، و لكن حتى التطبيق الصحيح لهذه القوانين بحاجة للأخلاق الحسنة.

١. بخار الأنوار، ج ٦٨ ، ص ٣٨٢ .

من أجل أن تسود الأخلاق مختمعاً من المجتمعات، لا بد من توفر أمرين: أحدهما تدريياتنا و جهادنا نحن، و الثاني التعليمات الأخلاقية التي يجب أن يغذى بها الناس عن طريق التربية و التعليم و المراكز التربوية و التعليمية و العلمية على كل المستويات. هؤلاء يتحملون مسؤوليات. هذا جانب من الأعمال اللازم تنفيذها في سنة رسول الله الأعظم (ص). أي أن نجعل أنفسنا مؤمنين مسلمين تابعين للرسول الأكرم من حيث الأخلاق الفاضلة. يجب أن نعرف لائحة الصفات الرذيلة و القبيحة، و نرى أيها موجود فينا فنحاول اجتنابه و تركه. كما ينبغي أن نعرف لائحة الأخلاق الحسنة الحميدة و نحاول عن طريق تدريب أنفسنا أن نوفرها فينا. طبعاً الحبة هي سبب التقدم في هذا السبيل.. محبة الله و محبة رسول الله و محبة هذا الدرب و محبة أستاذة الأخلاق – أي الرسل و الأنبياء و الأئمة المعصومين عليهم السلام – إنه الحب الذي يتقدم بالإنسان سريعاً في هذا الطريق. يجب أن ننتهي لهذا الحب في أنفسنا يوماً بعد يوم..^١ «اللهم ارزقني حبك و حب من يحبك و حب كل عمل يوصلني إلى قربك». ^٢ محبة الله و محبة أحباء الله و محبة الأعمال التي يحبها الله.. هذه أنواع الحب التي يجب أن نغذيها و ننميها في قلوبنا. هذه واحدة من تعاليم الرسول الأكرم (ص) في سنة الرسول الأكرم.

٢ - الاستقامة و الشبات

المسألة الأخرى هي قضية الاستقامة و الثبات و الصمود. يقول الله تعالى لرسوله الكريم في سورة هود: «فاستقم كما أمرت و من تاب معك و لا تطغوا». ^٣ و في الرواية عن الرسول الأكرم (ص) أنه قال: «شَيَّبْتِي سُورَةُ هُودٍ». ^٤ و هذا من شدة العباء و الجسامنة التي في هذه السورة. أي موضع من سورة هود هو المقصود؟ يرى أن المراد هو هذه الآية «فاستقم كما أمرت». لماذا شَيَّبَتْ هذه الآية رسول الله؟ لأن الله تعالى يقول فيها: استقم و اصبر و اثبت في هذا الدرب كما أمرناك. و هذا الثبات

١. بخار الأنوار، ج ٨٣ ، ص ١٨٢ ، الباب ٤٣ .

٢. سورة هود، الآية ١١٢ .

٣. وسائل الشيعة، ج ٦ ، ص ١٧٢ .

بنفسه عملية صعبة. إنه الصراط.. إنه جسر الصراط الذي صوروا مظهره لنا في يوم القيامة. جسر الصراط هنا هو باطن أعمالنا و درينا. إننا الآن نسير على جسر الصراط، و يجب علينا التدقير و الحذر بشدة. و إذا أراد المرء التدقير في كل تصرفاته و سلوكياته فإن ذلك سيشيبه.

لكن الأهم من كل هذا في رأي هو الجملة التي تليها: «و من تاب معك». ليس الرسول الأكرم وحده هو المأمور بالاستقامة و الصبر، إنما يجب على كل جموع المؤمنين المائلة الصبر و الاستقامة في هذا الدرب. الناس المعرضون من ناحية لهجمات البلايا و المشكلات الحياتية – من أعداء و متآمرين و خصوم و قوى مسلطة – و المعرضون من ناحية أخرى لهجمات أهوائهم النفسية – من رغبات و نزوات و عدم طاقة مقابل المال و المتعال الدنيوي الجداب الذي يشدّ القلوب إليه – قد ينحرفون عن هذا الصراط المستقيم يميناً و يساراً. حبّ الذهب و الفضة، و حبّ المال، و حبّ الشهوات الجنسية، و حب المناصب و ما إلى ذلك، كل واحد من هذه الأمور فخ و أغلال في عنق الإنسان تحرّه إليها. المقاومة و الثبات مقابل هذه الحاذبيات بحيث لا تزلّ أقدام الإنسان: «و من تاب معك» و تصوير المؤمنين بين هاتين الحاذبيتين القويتين – جاذبة ضغوط الأعداء و جاذبة الضغوط و الأهواء الداخلية – و هذين المغناطيسيين، و إبقاءهم على الخط المستقيم و هدايتهم، هي على أغلبظن المهمات التي شئت النبي الأعظم (ص).

هل تعلمون أية منعطفات و مزالق صعبة عَبَرَّ نبي الإسلام الأعظم المسلمين منها – سواء في الفترة الملكية (ثلاثة عشر عاماً) أو في الفترة المدينة حيث تأسيس نظام الحكم – ليصل بhem إلى تلك القمم؟ مثل هذا التحرّك العظيم لم يكن من عمل أي إنسان كان. أولئك الناس الذين لم يكونوا يفهمون شيئاً و لم يশموا رائحة الأخلاق الإنسانية، حَوْلَمَ الرسول الأعظم (ص) إلى أنس تشعر ملائكة الله بالهوان و الصغر مقابل عظمتهم و أنوارهم. هذه هي الاستقامة. و نحن اليوم بحاجة إلى الاستقامة. نحن أيضاً نتجاذبنا من جهة زخارف الحياة الملوّنة و تثير رغباتنا و أهوائنا. خلال فترة الثورة، كم شاهدنا من أنس كانت معتقداتهم و قلوبهم صالحة، لكنهم لم يطيقوا الصبر مقابل

الرکون للراحة وأمام الشهوات وأمام السلطة والمناصب ومديح هذا وذاك، وحال تحدیدات العدو، فانزلقوا نحو جانب معین وتحولوا في بعض الحالات إلى معارضين ومعاندين لسبیل الله. و إذن، فالصبر والاستقامة حالة ضرورية. والاستقامة ضرورية مقابل العدو أيضاً. العدو يهدد و يعد و يتوعّد و يستعرض عضله و قوته دوماً أمام المجتمع الإسلامي، و يتحدث بمنطق القوة، و قد يخلط لغة القوة في بعض الأحيان بشيء من الحالات و الوعود المغسولة ليضلّ القلوب عن سبیل الله. والاستقامة أمام مخادعات الأعداء و تحدياتهم ميزة كبيرة إذا تحلى بها شعب من الشعوب فسيصل إلى القمة وإلى حيث لا يجد العدو فائدة من التهديدات، فيضطر للتأنق أو الاستسلام.^١

أهمية وضع الأمة الإسلامية بالنسبة لروح الرسول الظاهر

ما يلفت الانتباه في خصوص العلاقة بين نبی الإسلام الکريم (ص) والأمة الإسلامية قضية مصير الأمة الإسلامية والأحداث والواقع التي تجري على هذه الأمة. «لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليکم بالمؤمنين رؤوف رحيم».٢ و هذه الحالة تنسحب على كل عصور التاريخ. ما يجري على الأمة الإسلامية مهم بالنسبة لروح الرسول الأکرم الظاهرة. فعيناه البصیرتان الناظرتان فلقمان على حال الأمة الإسلامية.

لقد مرّت هذه الأمة بفترات و عصور عصبية و شهدت الكثير من المنعطفات التاريخية، و وصلتاليوم إلى هذه النقطة المصيرية الحاسمة. إذا أبدت الأمة الإسلامية اليوم الحمّة فستستطيع اختيار طريق يشطب على تأخرها و مشكلاتها و صعابها و ذلتها. و رواد هذه الحركة هم النخبة في المجتمع، سواء النخبة السياسيون أو النخبة العلميون أو النخبة الثقافيون – على مستوى الحوزات الدينية أو الجامعات – الذين يسعهم توصية الأمة الإسلامية باختيار هذا الدرب و هدايتها إليه. الطريق الآخر هو أن تبقى الأمة الإسلامية في الغفلة التي أرادها لها أعداء الإسلام.

١. من كلامه في لقاء بالمعوينين، في تاريخ ٢٠٠٦/٣/٢٦ م.

٢. سورة التوبه، الآية ١٢٨ .

أن نبقى في الغفلة و الاختلافات و ضيق الأفق و الأنانيات و التكالب على الدنيا و عدم شعور النخبة بالمسؤولية، وإذا حصل هذا فإن درب سعادة العالم الإسلامي في الدنيا سيتعد عن متناول الأمة الإسلامية لعشرات الأعوام الأخرى على الأقل. هذه هي خصوصية زماننا هذا. اليوم هو يوم اختيار الأمة الإسلامية لطريقها. صحيح أن الحركة في طريق الرشد و الصواب ليست بالأمر الدفعي الفجائي، إنما تؤتي ثمارها تدريجياً و على المدى المتوسط أو على المدى البعيد، إلا إن تحرك النخب و المسؤولين و اتخاذهم للقرارات بطريقة تكشف الدرب للأخرين و تدفعهم عليه، وفي كل بقاع العالم الإسلامي، إذا تأخر فسيكون ذلك في ضرر الأمة الإسلامية مع كل يوم من التأخير. على الجميع الشعور بالمسؤولية. اليوم يوم اتحاد الأمة الإسلامية. لاحظوا كم يبذل العدو من الجهود و الأموال في سبيل إفساد حتى هذا الاتحاد الضعيف الراهن. لاحظوا الوضع في العراق. والأوضاع فيسائر المناطق الإسلامية عرضة لنفس المؤامرات و بدرجات مختلفة، و ذلك من أجل أن يشوا التفرقة و النزاعات بين الطوائف الإسلامية و الفرق الإسلامية و القوميات و الشعوب الإسلامية بذرائع شتى، فيقتل هؤلاء أو تلك و يقتل أولئك هؤلاء، و يعتقد هؤلاء على أولئك و يعتقد أولئك بالمقابل على هؤلاء، و تكون النتيجة الغفلة عن أعداء العالم الإسلامي الأصليين و المخططين للسيطرة و الهيمنة على هذه المنطقة من العالم.

لو كان العالم الإسلامي متحداً لوجب أن لا تكون فلسطين اليوم وحيدة، و لما كان ينبغي أن تبقى الحكومة المنبثقة من أصوات الشعب الفلسطيني تحت الضغوط، و تحدد بقطع المساعدات ما لم تعوض الطرف عن مبادئها. على العالم الإسلامي أن يعلن بصوت واحد و بكلمة واحدة دعمه للشعب الفلسطيني و المسؤولين الفلسطينيين، و يدعم إصرارهم على مبادئهم. لو حصل هذا لما عاد الذين أسسوا أساس المؤس للشعب و البلاد الفلسطينية بمقدورهم أن يتحدثوا بهذه اللهجة المحمومة الدائنة. ترتكب كل هذه الفجائع ضد الشعب الفلسطيني، و السادة الأوروبيون الخجلون للإنسان و الإنسانية و المدافعون عن حقوق الإنسان (!) كأنهم صمّ بكم و عميان لا يرون

شيئاً. ثم تتولى الحكومة الفلسطينية زمام الأمور بأصوات الشعب و إرادته فيصرّحون و يتخدون المواقف ضدها. هذا بسبب تفرق العالم الإسلامي، و هو بسبب أنانيات النخب و السياسيين في العالم الإسلامي.

الصـحـوة
الإـسـلامـيـة ..
السـبـيلـ الـوـحـيدـ
لاـسـتـعـادـةـ الـأـمـةـ
الإـسـلامـيـةـ عـزـتـهـاـ

علينا اليوم أن نصحو و نفهم بأن قرارنا و تصميمنا يرسم المصير التاريخي للعالم الإسلامي. و بالطبع فإن هذا القرار لا يرتبط بنا شخصياً و بحاضرنا. ما من سبيل أمام الأمة الإسلامية اليوم سوى أن تؤمن بقدراتها و تكتف عن الخضوع للظلم و تقرر الخروج من تحت أعباء التعسف و منطق القوة. إننا لا نندو الشعوب المسلمة لحمل السيف و مخاربة بلدان العالم، بل ندعوههم و نوصيهم بمعرفة حقوقهم و قدرهم و منزتهم و عزّتهم و شعورهم و تاريخهم و تراثهم القيم، و الاعتماد عليه، و عدم إهانتهم - وهو اليوم في قبضة الصهاينة - بإهانتهم. هذا السماح لعلم الكفر والاستكبار - وهو اليوم في قبضة الصهاينة - بإهانتهم. هذا هو ما نقوله.. «عزيز عليه ما عنّتم». ^١ الصعب التي تمرّون بها و يعاني منها العالم الإسلامي و الأمة الإسلامية عسيرة على رسول الله (ص) و تحترق في نفسه. «حرirsch عليكم».. يريد هدایتكم و يعيّن لكم السعادة و التقدم على هذا الصراط الإلهي المستقيم المرسوم لكم من أحل سعادة دنياكم و آخركم. هذا ما يريده رسول الله (ص) منا.

ما نقوله هو أن الكيان المقدس لرسول الإسلام الكريم العظيم (ص) هو أهم قطب لإيجاد الوحدة بين المسلمين. وقد ذكرنا سابقاً إن العالم الإسلامي بواسعه الوئام والاجتماع حول هذا القطب. فهذا القطب هو المحور الذي يمكن لعواطف كل المسلمين أن تدور حوله. إنه مركز الحب والعشق لكل العالم الإسلامي. ولاحظوا حالياً أن الأفلام القابضة أجorها من الصهاينة تستهدف هذا القطب وتوجهه له الإهانات، وذلك من أجل أن يزول تدريجياً قبح وخطر توجيه الإهانات للأمة الإسلامية ويبصر أمراً مأمولـاً. هذا هو القطب الرئيسي، وعلى السياسيين والذين يكتبون العلمية والثقافية و

١. سورة التوبة، الآية ١٢٨ .

الكتاب و الشعراء و الفنانين التركيز على هذه النقطة و العمل على تقرب كل المسلمين من بعضهم تحت هذا الشعار. لا تنظروا إلى نقاط الاختلاف، و لا توجهوا التهم لبعضكم و لا تكفروا ببعضكم و لا تخرجوا ببعضكم من حدود الدين. القلوب تنبعث و تتوثب في كل أنحاء العالم الإسلامي بذكرى الرسول الأكرم (ص) و حبه، و تغدو يانعة ريانة مزدهرة. كلنا والملون و عشاق لهذا الإنسان العظيم.

هذا الأسبوع هو أسبوع الوحدة بحق، و هذه الأيام هي أيام الاتحاد بين المسلمين حقاً. واجبات المسؤولين السياسيين ثقيلة، و على المسؤولين الثقافيين و الكتاب و العلماء أن يتحجّبوا طرح القضايا الخلافية الباعثة على التفرقة. ينبغي للسنة و الشيعة و الجميع أن يرتكزوا على محور الاتحاد هذا. و من المتوقع من العلماء و النخب السياسية أن يعوا خطورة الظرف و الزمان و أهمية اتحاد المسلمين، و يتطلعوا لمؤامرة الأعداء لكسر هذا الاتحاد و الوئام.

هذا هو كلامنا و قولنا لشعبنا و للعالم الإسلامي، و نسأل الله تعالى بشرف الرسول (ص) و عزته و كرامته عنده أن يوفق العالم الإسلامي في هذا الدرب، و يجعل غد الأمة الإسلامية خيراً من يومها.^١

مميزات الرسول الأعظم (ص) لتحمل أعباء البعثة الهائلة

هذه السنة في بلادنا هي سنة الرسول الأعظم، و اليوم هو يوم بعثته. و قد قال هو (صلوات الله و سلامه عليه و آله) في حديث متواتر معروف: «بعثت لأنتم مكارم الأخلاق».^٢ حصلت البعثة في العالم بهدف نشر و إكمال مكارم الأخلاق و الفضائل الروحية بين البشر.

ما لم يكن الشخص أفضل الناس من حيث مكارم الأخلاق فإن الله تعالى لا يكلفه بمثل هذه المأمورية العظيمة الخطيرة. لذا يخاطب الله تعالى رسوله الكريم في

١. من كلمتهمناسبة ولادة الرسول الأكرم (ص) والإمام جعفر الصادق (ع) في تاريخ ١٦/٤/٢٠٠٦ م.

٢. بخار الأنوار، ج ٦٨ ، ص ٣٨٢ .

بداياتبعثة قائلًا: «إنك لعلى خلق عظيم». ^١ إعداد الرسول الأكرم (ص) ليكون وعاءً يستوعب الوحي الإلهي عملية تعود إلى ما قبلبعثة. لذا جاء في التواريخت أن الرسول الأكرم (ص) حينما كان شاباً يعمل في التجارة ويحصل على أموال كبيرة من التجارة، كان ينفقها كلها كصدقات على المساكين والفقراة. في هذه الفترة وهي فترة أواخر مرحلة تكامل الرسول الأكرم (ص) وقبل نزول الوحي – الفترة التي لم يكن قد بعث فيها بالنبأ بعد – كان الرسول يصعد الجبل إلى غار حراء ويتأمل الآيات الإلهية، وينظر عميقاً في السماوات والنحوم والأرض وهذه الخلائق التي تعيش على الأرض بمشاعر مختلفة وطرائق شتى من العيش. كان يرى فيها جمِيعاً آيات إلهية، وكان خصوصه أمام الباري عز وجل وخشوع قلبه حيال الأوامر والنواهي والإرادة الإلهية يزداد باستمرار، وكانت براعم الأخلاق الحسنة تنمو في نفسه أكثر فأكثر على مرّ الوقت.

و جاء في الرواية إنه كان «من أعقل الناس وأشجعهم». ^٢ كان الرسول قبلبعثة و بفضل تأقلمه في الآيات الإلهية يزداد عمقاً و غنى عقلياً يوماً بعد آخر، إلى أن وصل إلى سن الأربعين. «فَلَمَا اسْتَكْمَلَ أَرْبَعينَ سَنَةً وَ نَظَرَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ إِلَى قَلْبِهِ فَوْجَدَهُ أَفْضَلَ الْقُلُوبِ وَ أَجْلَهَا وَ أَطْوَعَهَا وَ أَخْشَعَهَا وَ أَخْضَعَهَا». ^٣ كان قلبه في الأربعين من عمره أنور القلوب وأخشعها وأكثرها استيعاباً لتلقي الرسالة الإلهية.. «أذن لأبواب السماء ففتحت و محمد ينظر إليها».. ^٤ حين وصل إلى هذه المرحلة من المعنوية والروحانية والتورانية وذروة الكمال، فتح الله تعالى أمامه أبواب السماء وأبواب عوالم الغيب لينظر إلى العوالم المعنوية والغيبية.. «و أذن للملائكة فنزلوا و محمد ينظر إليهم». كان يرى الملائكة و يتكلمون معه، و يسمع كلامهم، إلى أن نزل

١. سورة القلم، الآية ٤ .

٢. مختصر الصائر، ص ٦٠ .

٣. التفسير المنسوب لإمام الحسن العسكري (ع)، ص ١٥٦ .

٤. مختصر الصائر، ص ٦٠ .

جبرائيل الأمين عليه و قال: «إقرأ» فكانت بداية البعثة. بدأ هذا المخلوق الإلهي المنطفع النظير و هذا الإنسان الكامل الذي بلغ مثل هذه المرتبة من الكمال قبل نزول الوحي الإلهي عليه، بدأ منذ اللحظة الأولى للبعثة جهاداً مركباً شاملاً صعباً و واصله على مدى ثلاثة و عشرين عاماً بمنتهى الصعوبة. جهاد في داخله، و جهاد مع الناس الذين لم يكن لهم أي نوع من الإدراك للحقيقة، و جهاد ضد ذلك المناخ المظلم الحالك الذي يقول عنه الإمام على بن أبي طالب (ع) في نجح البلاغة: «في فتن داستهم بأخفافها، و وطأتهم بأظلافها، و قامت على سنابكها».١ كانت الفتن تنقل على الناس من كل حدب و صوب، فتن طلب الدنيا، و الشهوات و الظلم و العداون و الرذائل الأخلاقية في أعماق وجود الناس، و تعدي الأقواء على الضعفاء دون أي مانع أو رادع. حالات التعدي هذه لم تكن في مكة و في جزيرة العرب فقط، بل كانت أيضاً في أرقى الحضارات آنذاك أي الامبراطورية الرومانية الكبيرة و الدولة الشاهنشاهية في إيران. انظروا في التاريخ.. كانت صفحات التاريخ المظلمة قد استغرقت كل الحياة البشرية. و قد بدأ الجهاد بمثل هذه القدرات العظيمة و المجهود المنظافية التي لا يمكن تصوّرها منذ الساعات الأولى للبعثة و تحمل مسؤولية الوحي الإلهي من قبل النبي الأكرم (ص)، و قد نزل الوحي الإلهي على القلب المقدس للنبي الأكرم كما ينساب الماء الزلال على الأرض الخصبة، فمنحه الطاقة و القوة، و استخدم (ص) كل قوته ليضع هذا العالم على اعتاب تحول عظيم، و نجح في ذلك.

شيّدت الخلايا الأولى من جسد الأمة الإسلامية في أيام مكة الصعبة بيد المقتدرة لرسول الإسلام الكريم (ص). و قامت الأعمدة المنيئة التي ينبغي أن ينهض صرح الأمة الإسلامية عليها، و ظهر المؤمنون الأوائل و أول الناس الذين وعوا هذه المعرفة و تحملوا بهذه الشجاعة و النورانية التي أهلتهم لاستيعاب معنى الرسالة النبوية و الوله بها. «فمن

١. نجح البلاغة، الخطبة ٢ .

يُبَدِّلُ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيهِ يَشْرِحُ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ». ^١ تفتحت القلوب وأبوابها على هذه المعارف والأوامر والنواهي الإلهية بفضل اليد المقدرة للرسول الأكرم (ص). وتنورت الأذهان وتعززت الإرادات. وكانت هناك صعاب وشدائد في فترة مكة واجهت هذا العدد القليل من المؤمنين – الذين كانوا يزدادون يوماً بعد يوم – بشكل لا يمكن تصوّره من قبلنا أنا وأنتم. في مناخ تسوده برؤمه القيم الجاهلية، والعصبيات والحميات الخاطئة والأحقاد العميقية والقساوات والشقاوات والظلم والشهوات وتملاً حياة الناس بالبؤس والتعاسة وتجعلها أحجاراً صلدة صماء، على مثل هذه الصخور الصماء نبتت هذه الغرسات الخضراء ونمّت. وهذا ما يقول عنه الإمام علي بن أبي طالب: «وَإِنَّ الشَّجَرَةَ الْبَرِّيَّةَ أَصْلَبُ عَوْدًا وَأَقْوَى وَقْدَدًا».^٢

ما من طوفان كان بسعه أن يزعزع هذه الغرسات والشجيرات التي نبتت بين الصخور وضربت جذورها في الأرض. مضت ثلاث عشرة سنة، ثم تم تشييد صرح المجتمع الإسلامي والمجتمع المدني النبوى على هذه الأركان القوية. وقد استغرق بناء الأمة عشرة أعوام. ولم تكن صناعة الأمة هذه مجرد عمل سياسي. إنما كانت السياسة جزءاً منها. والجزء الأصلى فيها هو تربية الأفراد واحداً واحداً: «هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأَمَمِيْنِ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيَرْكِيْمُهُمْ وَيَعْلَمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَةَ».^٣ لاحظوا كلمة «يَرْكِيْمُهُمْ» التي تعنى أن كل واحد من القلوب خضع لتربية الرسول الأكرم (ص). لفَنِّ الرسول الأذهان والعقول واحداً واحداً.. «وَيَعْلَمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَةَ».. الحكمة مرتبة أعلى. لم يعلمهم القوانين والضوابط والأنظمة فقط، بل علمهم الحكمة أيضاً. فتح أعينهم على حقائق العالم. عمل الرسول الأكرم (ص) على هذه الطريقة لمدة عشرة أعوام. من جهة كانت هناك السياسة والإدارة والحكومة و الدفاع عن كيان المجتمع الإسلامي ونشر الإسلام وفتح الطريق للجماعات

١. سورة الأنعام، الآية ١٢٥ .

٢. نفح البلاغة، الخطبة رقم ٤٥ .

٣. سورة الجمعة، الآية ٢ .

خارج المدينة كي تدخل تدريجياً إلى نور الإسلام و المعرفة الإسلامية، و كان هناك من جهة أخرى تربية الأفراد واحداً واحداً. أيها الإخوة و الأخوات الأعزاء.. لا يمكن الفصل بين هذين الجانبين.

إشاعة نظرية فصل الدين عن السياسة من قبل المستكبرين المستعمرات

البعض اعتبروا الإسلام مجرد قضية فردية، و فصلوا السياسة عن الإسلام. هذا هو ما يرجح له حالياً في الكثير من المجتمعات الإسلامية و في علوم العالم المستكبر المستعمر الغربي المهاجم: فصل الإسلام عن السياسة! سلبو الإسلام السياسة، و الحال أن النبي الأكرم (ص) في بداية هجرته و في مطلع تمكّنه من الخلاص من صعوبات مكة، كانت السياسة أول شيء فعله. تشيد المجتمع الإسلامي، و تأسيس الحكومة الإسلامية، و تشكيل النظام الإسلامي، و تشكيل جيش إسلامي، و إرسال رسائل إلى كبار الساسة في العالم، و الخوض في الميدان السياسي الكبير في العالم آنذاك.. هذا كلّه سياسة. كيف يمكن فصل الإسلام عن السياسة؟! وكيف يمكن تفسير و صياغة السياسة بيد هادية غير يد الإسلام؟! «الذين جعلوا الإسلام عصبين»،^١ البعض يضعون القرآن و يقسمونه و يمزقونه.. «نؤمن بعض و نكفر بعض»..^٢ يؤمنون بالعبادة التي جاء بها القرآن الكريم، لكنهم لا يؤمنون بالسياسة التي في القرآن الكريم! «لقد أرسلنا رسلنا بالبيانات و أنزلنا معهم الكتاب و الميزان ليقوم الناس بالقسط».^٣ ما هو القسط؟ القسط معناه تكريس العدالة الاجتماعية في المجتمع. من الذي يستطيع القيام بذلك؟ تشكيل مجتمع فيه العدل و القسط عمل سياسي و من مهمة مدراء البلاد. هذا هو هدف الأنبياء. ليس علينا محمد و حسب، بل النبي عيسى و النبي موسى و النبي إبراهيم و كل الأنبياء لهم (عليهم السلام) جاءوا من أجل السياسة و لتأسيس النظام الإسلامي، و ترى البعض من المتظاهرين بالقداسة و التدين يقولون: لا شأن لنا

١. سورة الحجر، الآية ٩١ .

٢. سورة النساء، الآية ١٥٠ .

٣. سورة الحديد، الآية ٢٥ .

بالسياسة! و هل الدين منفصل عن السياسة؟! و تصرّ الآلة الإعلامية الغربية الخبيثة على تكرار التوصية بفصل الدين عن السياسة، و فصل الدين عن الدولة. إذاً كما مسلمين فالدين و الدولة متزجان. و هما ليسا من قبيل الشيئين الذين أصقا ببعضهما، بل الدين و الدولة شيء واحد.

الدين و الدولة في الإسلام ينبعان من مصدر واحد و هو الوحي الإلهي. هذا هو القرآن و الإسلام. البعض يفصلون السياسة عن الإسلام، و البعض في الجانب المقابل يعتبرون الإسلام ليس سوى سياسة و الأعيab و ممارسات سياسية، و يتجاهلون الأخلاق و المعنويات و الحجّة و الفضيلة و الكرامة و هي الأهداف الأكبر لبعثة رسولنا الأكرم (ص). هؤلاء أيضاً هم من «الذين جعلوا القرآن عضين».^١ و هذا أيضاً من قبيل «نؤمن ببعض و نكفر ببعض».^٢ اختزال الإسلام إلى جملات سياسية براقة و ناصعة، و الغفلة عن خشوع القلوب و عن ذكر الله و النقاء و المعنوية و الرکوع أمام الله و الطلب من الله و عشق الله و البكاء مقابل عظمة المخلوق و طلب الرحمة من الله و الصبر و الحلم و السخاء و الجود و الصفح و التسامح و الأخوة و الرحمة، و الالتصاق بالسياسة فقط باسم الإسلام.. هذا أيضاً اخراج يشبه ذلك الانحراف، و لا فرق بينهما.

**حاجة الأمة
الإسلامية
للحكومة
الإسلامية
الحقيقية**

«يزكيهم و يعلمهم الكتاب و الحكمة»..^٣ هنا توجد تزكية و تعليم. مجال التربية في الدين هو قلوبنا أنا و أنتم، و أيضاً عقولنا أنا و أنتم، و جوارحنا و أيدينا و أرجلنا أنا و أنتم. «يا أيها النبي جاهد الكفار و المنافقين وأغلظ عليهم»،^٤ لا بد من الأيدي و القوة مقابل الأعداء و المهاجمين و الذين يريدون الحؤول دون انتشار أنوار

١. سورة الحجر، الآية ٩١ .

٢. سورة النساء، الآية ١٥٠ .

٣. سورة الجمعة، الآية ٢ .

٤. سورة التحريم، الآية ٩ .

المعنوية والوحى. «وَأَنْزَلَنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعٌ لِلنَّاسِ».^١ لا بدّ للمهاجين من أن يواجهوا يدًا فولاذية وقبضة حديدية وإرادة لا تتزعزع ولا تتحلّل. هذا هو علاج آلام الأمة الإسلامية اليوم.

الأمة الإسلامية في الوقت الراهن بحاجة للحكومة الإسلامية بالمعنى الحقيقي للكلمة. الحكومة الإسلامية تعني الحكومة التي يهمّها أمر قلوب الناس وشعوب، وكذلك عقولهم وعلومهم وتقديرهم العلمي، وأيديهم وجوارحهم وقدراتهم، وكذلك إدارة شؤونهم إدارة سياسية صحيحة. هذا هو ما تحتاجه الأمة الإسلامية اليوم.

جذور انحطاط الأمة الإسلامية و عوامله

منذ أن فصلت الأمة الإسلامية بين الدين ونظام الحكم وفصلت الأخلاق عن إدارة المجتمع، تعرضت لصنوف من الخلل. يوم رفع ملوك أطلقوا على أنفسهم أسم الخلفاء – في بغداد والشام وهناك من العالم الإسلامي – راية الإسلام، وانشغلوا تحت هذه الراية بأهوائهم النفسية وشهواتهم وأغراضهم وتكبّرهم وغرورهم السلطوي، وجمعهم للشوّارات وخرائبهم، تمهدت الأرضية لانحطاط العالم الإسلامي. مع أن حركة النبي الأكرم (ص) وأصحابه الأجلاء المجاهدين المقاتلين كانت تنشر الإسلام بسرعة كبيرة – وكان هذا الإنجاز العظيم الذي قام به الرسول الأكرم قد أهدى الازدهار للمسيرة السياسية والعلمية للإسلام التي استمرت إلى القرون الرابع والخامس للهجرة – إلا أنه كان في الوقت نفسه أشخاص في البلطات والعوائل الحاكمة يتشارون بذور الضعف والانحطاط والفساد والنفاق. وكانت تلك البذور هي التي نمت وفرضت الانحطاط على الأمة الإسلامية، وها نحن نشعر اليوم بنتائج ذلك بخلودنا ولحمنا ودمنا وعظامنا بعد عدة قرون. نحن الشعوب الإسلامية الذين تعرضنا في القرن التاسع عشر والقرن العشرين الميلادي للاستعمار وهيمنة الأعداء تأخرنا عن قافلة العلم، وازداد أعداؤنا قوة وازدادنا نحن ضعفاً – وقد امتصوا دماءنا وازدادوا بها قوة، وفقدنا نحن دماءنا وازدادنا ضعفاً – ووصل الأمر إلى درجة أن

١. سورة الحديد، الآية ٢٥ .

وقع مصير الأمة الإسلامية و مصير الشعوب المسلمة، في منطقة الشرق الأوسط خصوصاً، بيد حكام ظلمة غير منصفين، و سيطرت بريطانيا في فترة و من بعد ذلك حولت بريطانيا تراثها للشيطان الكبير المعاصر أي نظام الولايات المتحدة الأمريكية. على كل حال استغلوا ضعف العالم الإسلامي.

رحمة الله على إمامنا الخميني الجليل الذي أيقظ شعبنا و أنزل طاقاته و قدراته إلى الساحة. نحن أيضاً كنا ننسحق تحت الأرجل والأقدام. في مدينة طهران هذه كانت تمارس أنكر المنكرات و لا أحد يعتريض. جاء لمدينة طهران هذه أعدى أعداء الإسلام و تصرفوا و كأئمهم في بيوقهم و عاشوا بمنتهى الأمان! خبوا أموال هذا البلد و خبوا نفطه و حالوا دون تقدمه و فرضوا مخططاتهم الخيانية الظالمة على هذا الشعب، و كان مدراء البلاد أي محمد رضا شاه و من حوله يقفون منحنين أمامهم يلبون كل مطالبيهم و يجذبون في خدمتهم. طبعاً كانت هناك في ظاهر الأمر بعض الأجهزة و الفخخة، لكن الأمور لم تكن في أيديهم. في مدينة طهران هذه، كان بلاط إيران يسأل سفير أمريكا و سفير بريطانيا حول أهم قضايا البلاد: هل أفعل هذا و هل أترك ذاك. و هذه الأمور موثقة و موجودة حالياً. وللأسف فإن هذا الوضع لا يزال قائماً اليوم في الكثير من البلدان الإسلامية. هذا الشعب القدير و الوعي و ذو السوابق التاريخية العظيمة.. هذا الشعب الذي راح اليوم يعبر عن مواهبه و قدراته في ميادين العلم و الجهاد و التقنية و السياسة، كان ينسحق تحت الأقدام.

أنزل الإمام الخميني الشعب إلى الساحة، و وثق به، و عبر الشعب عن نفسه و أثبت قدراته. حينما وثق الإمام الخميني بالشعب وثق الشعب به. هذا البلد الذي كان أمل الكفر تحول إلى رافع لواء الإسلام الحمدل الأصيل، و سوف يتقدم إن شاء الله باستمرار على هذا الصراط. الذين يتصوروا أنه بتقادم العهد على بداية الثورة و برحيل إمامنا الخميني الجليل سوف يتبعد الشعب عن القيم و المبادئ كانوا على خطأ و تلاحظون أنكم أخطأوا. إننا معتصمون بهذه القيم و نعتبرها سبباً لعزتنا الوطنية، و نعتقد أنها تؤدي إلى نمو مواهب شعبنا و قابلياته. سوف نستطيع بفضل الإسلام و بحول الله

و قوته و بسرعة أكبر من السرعة المألوفة و العادلة أن نرتقي قسم العلم و نفتحها. سوف تغلب على الضعف الذي فرض علينا سنين طوالاً و سوف نقوى أنفسنا و نزداد قوة و عزة. و من الواضح أن لا يرضي الاستكبار عن هذا. و من الأكيد أن يحاول العتاة بضجيجهم و غوغائهم و إعلامهم و دعاياتهم و عملهم السياسي و ضغوطهم الاقتصادية أن يمنعوا استمرار هذه المسيرة، لكنهم لن يستطيعوا. فنحن واقعون صامدون. هذا الشعب واقف صامد و الشعوب المسلمة قد استيقظت. قلوب الشعوب المسلمة اليوم مليئة بمحنة الصهابية و كره أمريكا. البلدان الإسلامية و شبابها حالياً في كل منطقة الشرق الأوسط و شمال أفريقيا و آسيا متتشوقون لأنشاق هويتهم الإسلامية. هذا هو الشيء الذي نما و تصاعد لدى الشعوب.^١

١. من كلمته في لقائه مدراء الدولة و سفراء البلدان الإسلامية و ضيوف مؤتمر الوحدة الإسلامية بمناسبة ولادة الرسول الأعظم (ص) بتاريخ ٢٢/٠٨/٢٠٠٤ م.

**حاجة البشرية
الدائمة لرسول
الرحمة (ص) و
رسالته الإلهية**

إحياء هذه الأيام هو من إجل أن نتذكر عظمة مولود هذا اليوم. و الفهم والإدراك البشريان أصغر حقاً من يستطيع استيعاب تلك الحقيقة المائلة و الروح السامية استيعاباً صحيحاً. ما يجري على ألسنة أمثالنا يتعلق بالجوانب الظاهرة للقضية:
**فاق النبفين في خلق و في خلق
و لم يدانوه في علم و لا كرم**

و كلهم من رسول الله ملتزم

غرفاً من البحر أو رشفاً من الديم^١

هذه هي الأمور التي يستطيع العقل و الإدراك البشريان أن يشاهداها من بعيد في وجود النبي الأعظم (ص)، فيغرق من يدركها في بركات أحكماته و قوانينه و كلماته. إننا اليوم كمسلمين و كبشر بحاجة إلى الرسول الأكرم (ص). نحن بحاجته إليه حتى من باب كوننا بشراً. فالرسول الأكرم كان رحمة للعالمين، و لم يكن رحمة للمسلمين فقط. البشرية كلها مدينة لبركات الرسول الأعظم و رحنته. ما منحه هذا الإنسان العظيم للبشرية كرسالة إلهية – و القرآن الكريم يجمع كل كلياتها و قضاياها العامة – موجود اليوم بين أيدينا و نستطيع الانتهاء و الاستفادة منه.

فتح الرسول الأكرم (ص) سبيل النجاة أمام البشرية، و فتح أمامها طريق الصلاح. و شجع الإنسانية على السير في درب يمكن للسير فيه أن يعالج مشكلات الإنسانية، و يداوي جراحها و أوجاعها. للبشرية آلام قديمة مزمنة لا تختفي بزمن دون زمن. البشرية بحاجة للعدالة و بحاجة للهداية و بحاجة للأخلاق الإنسانية العليا، و تحتاج ملء يأخذ بيدها و يهديها. العقل البشري يحتاج لمعونة المبعوثين الإلهيين. و قد فتح الرسول الأكرم (ص) هذا الدرب أمام الإنسانية بكل سعة الهداية الإلهية و إمكانياتها. ما أدى و سيؤدي في المستقبل أيضاً إلى أن يتمتع البشر بهذه الهداية و المعونة الإلهية أمر يتعلق بالبشر أنفسهم، و يتعلق بهم نحن، و بقصورنا و كسلنا و تقاعستنا و أهوائنا و أناياتنا. لو فتح البشر أعينهم و استخدموا عقولهم و عقدوا هممهم و ساروا و قاموا و

١. المصباح للكفعمي، ص ٧٣١ .

تحركوا فإن الطريق مفتوح من أجل علاج كل هذه المشكلات و الآلام القديمة و الجراح المزمنة التي يعانون منها.

ثمة في مقابل هذه الدعوة دعوة الشيطان الذي يعتئج جنوده و أنصاره و تلامذته مقابل الأنبياء، فيقف البشر على مفترق طرقين و يجب عليهم اختيار واحد منهمما.

صـحـوة الـمـسـلـمـيـن الـراـهـنـةـ وـ الـاـنـفـتـاحـ عـلـىـ الـمـعـارـفـ

الـإـسـلـامـيـةـ

الأمة الإسلامية اليوم و في كل الأقطار الإسلامية لها نظرة جديدة للشريعة و الديانة الإسلامية. بعد حالات الغفلة الطويلة و بعد الابتعاد عن زلال الحقائق الإسلامية خلال العصور المتعاقبة و القرون المتوالية، فتحت البشرية عينها اليوم و فتح العالم الإسلامي و الأمة الإسلامية عينها اليوم على الأحكام و المعرفة الإسلامية، فقد أثبتت الفلسفات البشرية المصطمعة ضعفها و عجزها على مسرح الحياة. بوسع العالم الإسلامي في الوقت الحاضر و عبر تمكّنه بالشريعة و المعرفة الإسلامية أن يتقدم البشرية و يكون رائدها نحو السمو و الكمال. العالم اليوم جاهز لتحرك الأمة الإسلامية. التقدم العلمي الذي أصابته البشرية – و قد تحمّست الأخلاق و المعنوية و الروح الدينية غالباً – و العلوم البشرية و نظرية الإنسان الجديدة لحقائق الطبيعة و العالم يمكنها أن تمثل رصيداً و عاملاً مساعداً لحركة الأمة الإسلامية. المعرفة الإسلامية بين يدي العالم الإسلامي و في متناول يديه. سيرة الرسول و كلامه و فوق كل ذلك «القرآن الكريم» موجود لدى العالم الإسلامي و بوسع المسلمين أن يتحركوا.^١

١. من كلمته في لقاءه مدراء الجمهورية الإسلامية الإيرانية بتاريخ ٢٠٠٧/٤/٦ م.

**حاجة البشرية
لرسالة البعثة، و
ثلاثة معالم مهمة
للدعوة
الإسلامية: العلم
والحكمة، و
التركيبة و
الأخلاق، و
العدالة و
الإنصاف**

بعثة الرسوم الخاتم (صلى الله عليه و آله و سلم) كانت بمثابة فتح الباب أمام كل واحد من أبناء البشر لإنقاذهم من الآلام المزمنة القديمة التي عانت منها المجتمعات البشرية. البعض استجابوا لهذا النداء و انتهلو من معينه و أحرزوا فوائده، و البعض تخلعوا و أصابهم ضرر ذلك.

ونعتقد أن البشرية اليوم أيضاً في أمس الحاجة لرسالة البعثة و اتباع تعاليم الأنبياء الإلهيين العظام، المجتمعة على أكمل وجه في تعاليم الإسلام و القرآن الكريم. وعلى رأس المعالم و الخطط في الدعوة الإسلامية ثلاثة أمور أهم من غيرها صرحت بها الآيات القرآنية الكريمة، وهي: العلم و الحكمة، و التركيبة و الأخلاق، و العدالة و الإنفاق. لو نظرنا بدقة و بصورة صحيحة لوجدنا البشرية اليوم أيضاً بحاجة لهذه الأشياء الثلاثة. لقد تطور العلم البشري في الوقت الراهن تطوراً كبيراً، و لكن تطوره كان في بعد واحد. تطورت العلوم المادية و الطبيعية – العلوم ذات الصلة بالحياة المادية – بين أبناء البشر، لكن الإنسانية لا تزال على صعيد العلوم المعنوية – الأمور التي تندر عقول البشر في ما يتعلق بأصول الخلقة و التوحيد الإلهي و تحدى قلوبهم نحو الاتجاه الذي خلقوا من أجله – بحاجة للتعلم و التطور. دعوة الإسلام إلى العلم دعوة شاملة. و قضية الأخلاق و التركيبة المعنوية و الروحية أهمّ اليوم حتى من العلم. مضلات البشرية و ويلاتها ناجمة عن الابتعاد عن التركيبة الأخلاقية.

**الواجب الخطير
للنخبة و
المسؤولين في
البلدان
الإسلامية**

المعنيون بهذا الكلام هم بالدرجة الأولى النخبة من الشعوب و المسؤولون عن شؤون البلدان و المجتمعات. إذا كانت ثمة أخلاق و معنوية و تركيبة في الرأس و القمة من المجتمعات البشرية – و هم النخبة السياسيون و العلميون و الثقافيون – فسوف تحيط مياه هذا الينبوع الفياض على السفوح و يتمتع عموم الناس أيضاً بالأخلاق الحسنة. مسؤولو البلدان الإسلامية هم المعنيون قبل غيرهم بهذا النداء و الكلام. المضلات والأوجاع الرئيسية للإنسانية هي حب الدنيا و حب الشهوات و الاحتراف وراء النزوات و الميلو الحيوانية، و الصداقات و العادات ذات الأصل الحيواني المادي، و تأجيج

الحروب لأسباب حبّ السلطة و الرغبة في التوسيع و نشر السلطة المادية، و حالات انعدام الأمان الناجمة عن الخبث و الرذائل السياسية لدى السياسيين و المسؤولين في البلدان المختلفة.

التركيبة الأخلاقية عملية ضرورية لأي بلد من البلدان. عطف الناس على بعضهم و إنصافهم لبعضهم و مراعاة حال الآخرين في التخطيط للحياة، و الرحمة و المروءة بين الناس، أشياء تبث المدحود و الطمأنينة في حياة البشر. حين نلاحظ أن العالم اليوم يختنق بنيران انعدام الأمان أكثر من الماضي – انعدام الأمان اليوم أكبر بلاء يعني منه البشر، أو هو على الأقل من أكبر البلاء التي يعنيها البشر حالياً، فالناس لا أمن لهم داخل عوائلهم و في بيئه حياتهم الاجتماعية، و في بلدانهم و أوطانهم – فانعدام الأمان هذا ناجم عن سوء السياسات و التعطش للسلطة و انعدام الأخلاق و بعد الناس عن التركيبة. و قد دعانا الإسلام للتركيبة، و هذا جانب مهم جداً من التعاليم الإسلامية.

«يتلو عليكم آياتنا و يزكيكم و يعلمكم الكتاب و الحكمة».^١

و العدالة و إفشاء العدالة و تكريسها هو ما أمر به كل الأنبياء الإلهيين، و قد قال عزّ و جلّ إن إرسال الرسل و إنزال الكتب السماوية و كل جهود الأنبياء و أنصارهم هو «ليقوم الناس بالقسط».^٢ أي لأجل أن يعيش الناس حياة فيها قسط و عدل. الشخصية الفذة لنبي الإسلام الكريم (صلى الله عليه و آله و سلم) هي القطب الأصلي و المحرر الرئيسي لاتحاد كل الطوائف الإسلامية. قلوب الجميع مفعمة بحبّ الرسول الأكرم (ص). كل واحد من أبناء الأمة الإسلامية يعشق هذا العبد المختار من عباد الله و هذا الإنسان الرأقي على مرّ التاريخ. فليجعلوا هذا الحبّ وسيلة و محوراً لاتحاد الأمة الإسلامية، و ليقربوا مكونات الأمة الإسلامية من بعضها.^٣

١. سورة البقرة، الآية ١٥١ .

٢. سورة الحديد، الآية ٢٥ .

٣. من كلمته في لقائه مدراء الدولة و مختلف شرائح الشعب بمناسبة يوم المبعث النبوى الشريف، بتاريخ

٢٠٠٧/٠٨/١١ م.

استذكار البعثة
مراجعة لدرس
خالد للأمة
الإسلامية وكل
البشرية

استذكار البعثة لا يعني مجرد استذكار حدث تاريخي – هذا ما ينبغي أن لا نغفل عنه أبداً عند تعاملنا مع هذا الحدث الكبير و هذه الذكرى البشرية و الإنسانية العزيزة – إنما التركيز على هذه الذكرى العظيمة هو في الحقيقة تكرار و مراجعة لدرس لا ينسى موجّه بالدرجة الأولى للأمة الإسلامية، سواء كل واحد من أبناء الأمة الإسلامية أو خواصها و نخبتها من سياسيين و علماء و مثقفين. و هو درس موجّه بالدرجة التالية لكل أبناء البشر. إنه تكرار درس و استلهام نموذج و تمرين و استذكار حدث فيه الكثير من الدروس و العبر.

أبعاد هذا الحدث متنوعة جداً. و الحق أنه لو أراد شخص التعبير ببيان بلينغ – و لو على نحو الإجمال – عن جوانب البعثة لوجب عليه كتابة كتب و التحدث ساعات طوالاً. و لكن حين ينظر المرء لهذا الحدث نظرة أولية يستفيد دروساً متعددة. لاحظوا أن الرسول الأكرم (ص) ظهر بهذه الرسالة التي جمعت كل احتياجات البشرية للكمال في مجتمع لم يكن فيه أيٌ من تلك الكمالات و القيم الإيجابية.

كان الرسول الأكرم (ص) رسول العلم، و لم يكن في ذلك المجتمع علوم. و كان رسول العدل و لم يكن في ذلك المجتمع حتى رائحة العدل، و كان الأقرباء و العترة و الرؤساء المتعسفون مسلطين على أرواح الناس و أموالهم. و كان رسول الأخلاق و التسامح و الصفح و الإنفاق و الحبة، و قد كان المجتمع آنذاك يعيش ظروف القحط بخصوص هذه الأحوال و المعاناة، حيث كان مجتمعاً عنيفاً متعسفاً يتقبل العنف و يرضخ له، و بعيداً عن الأخلاق و المعنوية و عن العلوم و المعرفة، و منشداً للأهواء و النزوات النفسية و العصبيات الجاهلية و حالات التكبر و الغرور غير المسّوقة.

الأبعاد المتعددة
و المتنوعة لبعثة
الرسول الأكرم
(ص)

في مثل هذه الأجواء المتحجرة و العسيرة، و في مثل هذا الجدب الخالي من أي ماء أو زرع، نبتت هذه الغرسة و نمت طوال ثلاثة عشر عاماً في تلك الظروف الصعبة، و أفضت هذه الأعوام الثلاثة عشر إلى تشكيل نظام حكم و تأسيس مجتمع على أساس

العلم و العدل و التوحيد و المعنوية و الأخلاق و الكرامة. أبدل الذلة إلى عزة، و الوحشية إلى أخوة، و العصبية إلى تسامح و تعقل، و الجهل إلى علم. و أوجد أرضية و قاعدة متينة صلبة استطاع المسلمون على أساسها الرقي طوال قرون إلى قمة المدنية و الحضارة، و إيجاد قمم ذاتية غير مسبوقة في تاريخ البشرية.

بعثة الرسول الأكرم (ص) طليعة تاريخ إنساني جديد

و لم يستمر عمر هذه الحكومة لأكثر من عشرة أعوام. لاحظواكم هي ثلاثة عشر عاماً بالإضافة إلى عشرة أعوام في عمر الشعب. و كأنها لحظة واحدة، أو ساعة عابرة. خلال هذه المدة القصيرة انبثقت مثل هذه الحركة العظيمة التي يمكن القول عنها إنما قسمت التاريخ إلى قسمين: قسم ما قبل الإسلام و قسم ما بعد الإسلام. و تقدّمت بالإنسانية، و رسمت أركان الأخلاق، و تركت للإنسانية دروساً عصية على النسيان. انظروا لعظمة البعثة من هذه الزاوية.

العناصر المؤثرة والضامنة لنجاح رسول الإسلام (ص) في ظروف الجهالية و العصبية

ما ضمن هذه النجاحات عناصر كثيرة و متشابكة طبعاً. لكن العنصر المهم الأول الذي كان رمزاً للثبات و القوة و الامتلاء بالروح المعنوية و النقاء و الإخلاص و معرفة الخالق و التوكيل عليه، هو الكيان المقدس للرسول الأكرم (ص) نفسه. كان الرسول الأعظم أعلم أهل مكة و أعقلهم قبل أن يبعث بالنبوة. كان أكرم و أشرف و أحسن الناس في تلك المنطقة أخلاقاً، حتى قبل أن يبعث نبياً مرسلاً.

و قد وقع هذا الإنسان الممتاز من بين أولئك الناس موقع اللطف الإلهي، و أقيمت هذه الأعباء و المهام على كاهله، لأن الله تعالى كان قد اختبره. الله سبحانه يعرف عبده و يعلم على عاتق من يُلقي هذا القول الثقيل. و صبر الرسول و صمد، و كان هذا الصمود والاستقامة إلى جانب معرفة عميقة بالهدف الذي يسير نحوه و الطريق الذي يسير فيه، و هذا ما وفر الرصيد لكل حالات التقدم و النجاح و الازدهار التي حققها الرسول الأكرم (ص) في هذه المسيرة الجبارية. نعم، الحق منتصر، و لكن بشروط. و شرط انتصار الحق هو الدفاع عن الحق. شرط انتصار الحق الصمود و

الثبات في طريق الحق.

في المرحلة الأولى للبعثة، و بعد مضي نحو ثلاثة أعوام أو أكثر – حيث كانت الدعوة سرية خفية – استطاع النبي (ص) أن يهدي إلى الإسلام ثلاثين أو أربعين شخصاً. و بعد ذلك جاء الأمر الإلهي: «فاصدح بما تؤمر و أعرض عن المشركين إنا كفيتكم المستهزئين». ^١ أي أعلن دعوتكم و انزل إلى الساحة و ارفع الراية علينا. و نزل الرسول الأعظم (ص) إلى وسط الساحة و حدث ما حدث من الأمور التي سمعتم بها. ارتعد كبار قريش و صناديدها و عظماء المال و القوة في ذلك المجتمع. و كان أول ما قاموا به تجاه هذا التيار الجديد هو تطميع الرسول الأعظم (ص). جاءوا إلى سيدنا أبي طالب و قالوا له إن ابن أخيك إنْ كان يطلب الرئاسة أمّناه علينا، و إن كان يريد الشروء أعطيناها ما يجعله أمّانا، و إنْ كان يريد أن يكون ملكاً اخترناه ملكاً علينا، و لكن قل له يكف عن هذه الأقوال التي يقولها. و كان سيدنا أبو طالب يخاف على حياة الرسول الأعظم (ص) و يخشى عليه من مؤامرات القوم، فجاء للرسول الأكرم (ص) و نقل له رسالة كبيرة مكة، و ربما نصحه و أوصاه بأن يتنازل بعض الشيء، فلماذا الإصرار إلى هذه الدرجة، فهذا غير ضروري. لكن الرسول الأعظم قال: «يا عم.. لو وضعوا الشمس في يميني و القمر في شمالي لأعرض عن هذا الأمر لا أفعله حتى أظهره الله أو يذهب بما فيه». ^٢

و في الرواية: «ثم اغورقت عيناه من الدمع».. أخذ بيكي و نمض من مكانه. حين شاهد أبو طالب هذا الإيمان و هذا الصبر انقلب حاله و تغير و قال: «يا ابن أخي اذهب و قل ما أحبت».. اذهب و ا فعل ما شئت و تابع هدفك.. «و الله لا أسلمنك بشيء». هذا الثبات يستجلب الثبات. هذه الاستقامة من الرسول الأعظم تعزز جذور الاستقامة لدى أبي طالب. هذا الالتزام بالهدف و عدم الخوف من الأعداء و عدم الطمع في ما في أيدي الأعداء، و عدم الانحراف للامتيازات التي يريد العدو أن

١. سورة الحجر، الآيات ٩٤ و ٩٥ .

٢. تفسير القراء، ج ٢ ، ص ٢٢٨ .

يمنحها مقابل الإفلات عن السير في هذا الدرك، يخلق الصمود والثبات ويُثت السكينة والطمأنينة، و يوجد الثقة بالدرك وبالهدف وبالله الذي أمر بهذا المهدى. لم يكونوا أكثر من ثلاثين أو أربعين شخصاً. و ثبت هؤلاء الثلاثون أو الأربعون بوجه كل تلك الصعاب و ازداد عددهم يوماً بعد يوم. كانوا يرون في مكة ما يصنع المشركون بعمّار و بلال و سمية و ياسر و كيف يغذونهم و يقتلونهم. كانوا يرون ذلك و مع ذلك يؤمنون. هكذا هو تقدّم الحق و انتشاره. الحق لا يتقدم فقط برفع رايته في ظروف الرخاء والأمن، إنما يتقدم الحق حين ييدي صاحب الحق و السائر في طريق الحق الاستقامة و الثبات في درب الحق.

تقول الآية القرآنية الكريمة: «محمد رسول الله و الذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم». ^١ أشداء على الكفار لا تعني أئمّة في حالة حرب و قتال دائمي مع الكفار. الشدة هنا بمعنى القوة و الثبات و عدم التزعّز. المعدن قد يصدأ و يتآكل و يتهدّأ و قد يخور و ينزل. إذا مضت القرون على المعدن يتعرض للصدأ و التهّرّ و الفساد. و الأشداء معناها عدم التهّرّ بل المثانة و الثبات. و الثبات قد يكون تارة في ساحة القتال حيث يبرز هناك بشكل من الأشكال، و تارة يبرز بشكل من الأشكال في ميدان الحوار مع الأعداء. لاحظوا كيف كان الرسول الأعظم يتحدث مع عدوه حين ينبغي أن يتحدث. لم يكن هناك في خططه سوى الثبات و القوة، و لا يمكن مشاهدة حتى ذرة من الخلل و الخور فيه. في حرب الأحزاب دخل الرسول الأكرم (ص) في حوار مع الأطراف المقابلة له، و لكن أي حوار؟! اقرأوا التاريخ. إذا كان الظرف ظرف قتال كان ذلك بشدة، و إن كان حواراً كان حواراً بشدة، و إذا كان تعاماً كان تعاماً بشدة، أي بثبات و عدم تزلّل. هذا معنى أشداء على الكفار.

و معنى رحاء بينهم هو أن يكونوا في ما بينهم على العكس من وضعهم مع العدو. التعامل هنا مرن و ناعم و فيه كثير من المرونة، و لا مكان فيه لتلك الشدة و الصلابة. هنا ينبغي ود الآخرين و كسب ودهم. هنا يجب التعامل مع البعض بالتعاطف و

١. سورة الفتح، الآية ٢٩ .

التسامح .

الصمود في أولبعثة يؤدي إلى استقامة و صبر عجيبين طوال ثلاثة أعوام في شعب أبي طالب. و ليس هذا بالهزل. ثلث سنين في وادٍ بجوار مكة من دون ماء و نبات و تحت الشمس الحرقـة. عاش الرسول الأكرم (ص) و سيدنا أبو طالب، و سيدتنا خديجة الكبرى، و كل المسلمين و عوائلهم في ذلك المكان و هو شعب بين جبلين. و كان الطريق مسدوداً عليهم لئلا يصلهم طعام. أحياناً كان يسعهم في أيام الموسم - التي كانت أياماً حرّة حسب التقاليد الجاهلية، أي كانت أياماً بلا حروب - أن يدخلوا المدينة، و لكن ما إن يريدوا شراء شيء من دكان، حتى يأتي غلامان و أبناء أبي جهل و أبي هب و سائر كبار مكة، و كان هؤلاء الكبار قد أوصوهم بأن يسارعوا لشراء الأشياء التي يريد المسلمون شراءها بأسعار مضاعفة، فيشتروها بأسعار مضاعفة و لا يسمحون للMuslimين بشراء شيء. قضوا ثلاثة أعوام في مثل هذا الوضع الصعب. فهل هذا بالهزل البسيـر؟

تلك الاستقامة الأولى و ذلك العمود المتين لهذه الخيمة و ذلك القلب المتوكل على الله هو الذي أوجـد مثل هذه الاستقامة في تلك الأجواء بحيث يستطيع كل واحد من المسلمين الصبر إلى هذه الدرجة. كان الأطفال يكونون من الجموع من الليل إلى الصباح، و كانت أصوات بكاء الأطفال تصل أسماع كفار قريش من شعب أبي طالب، و كان بعض ضعفائهم ترقـق قلوبهم للMuslimين، لكنهم لا يتجرـؤون على مساعدتهم خوفـاً من الأقوـاء. لكن المسلمين الذين شاهدوا أطفالهم أمام أعينهم يتضـرـرون و يتـمزـقـون جـوـعاً - و كـم ماتـوا في شـعبـ أبي طـالـبـ، و كـم مـرـضـواـ، و كـم جـاعـواـ - لم يـتـزـعـعواـ و لم يـلـيـنـواـ. يقول الإمام علي بن أبي طالب (ع) لابنه العزيز محمد بن الحنفية: «تـزـولـ الجـبـالـ وـ لـاـ تـنـزـلـ». أي لا تنزل و لا تـنـزلـ من مكانك حتى لو زالتـ الجـبـالـ من مكانـهاـ. وـ هـذـهـ هيـ نـصـيـحةـ الرـسـوـلـ الـأـكـرـمـ (صـ). وـ هـذـاـ هوـ سـيـلـ نـخـضـةـ الـأـمـةـ

الإسلامية، و هذه هي بعثة الأمة الإسلامية. و هذا هو درس الرسول الكريم(ص) لنا. هذا ما تعلمنا البعثة إياه.

مُحَمَّدٌ أَنْ نَقْعُدُ وَنَقُولُ نَزَّلَتْ آيَةً وَجَاءَ جِرَائِيلُ وَبَعْثَ النَّبِيِّ بِالرَّسُالَةِ وَنَفَرَجَ بَأْنَهَا أَمْنٌ وَذَاكَ لَمْ يُؤْمِنُ، فَهَذَا لَا يَحْلِلُ مُشَكَّلَةً. الْقَضِيَّةُ هِيَ أَنَّا يُجَبِّبُ أَنْ نَسْتَلِمُ عَلَى الْدُّرُوسِ مِنْ هَذِهِ الْحَادِثَةِ وَهِيَ أَكْلُ الْأَحَدَاثِ فِي حَيَاةِ الرَّسُولِ الْمَبَارَكِ. كُلُّ هَذِهِ الْأَعْوَامِ الْمُتَلَاقِةِ وَالْعَشْرِينِ دُرُوسًا وَعِبْرًا.

قللت ذات مرة لبعض الأصدقاء إنه ينبغي دراسة حياة الرسول الأكرم (ص) بال مليميات. كل لحظة من هذه الحياة حدث و درس و تخليات إنسانية عظيمة. هكذا هي كل هذه الأعوام الثلاثة والعشرين. ليهبت شبابنا و يقرأوا تاريخ حياة الرسول الأعظم (ص) من مصادرها الموثوقة، و يروا ما الذي حدث. إن كنتم ترون أن أمة بهذه العظمة قد ظهرت - حيث توجد اليوم أيضاً أفضل الآراء و أحسن السبل و أعظم الدروس و أشفى العلاجات للبشرية في منظومة الأمة الإسلامية - فقد ظهرت هكذا و انتشرت و تبنت و تجذرت هكذا. و إلا مجرد أن يكون الحق معنا و نكون على الحق فإن ذلك لن يضمن لنا التقدم و النجاح، إنما لا بد من الحق المصحوب بالثبات و الاستقامة. يقول الإمام علي بن أبي طالب (ع) في حرب صفين، و قد نقلت قوله هذا مراراً: «لا يحمل هذا العلم إلا أهل البصر و الصبر». ^١ الذين يمكنهم حمل هذه الرأبة هم الذين يتحلون أولاً بال بصيرة، فهم يفهمون القضية و المهدف، و ثانياً بالصبر. و الصبر معناه الاستقامة و التحمل و الصمود و الثبات. هذا هو الدرس الذي يجب أن نتعلمه منبعثة. ^٢

١. نهج البلاغة، الخطبة رقم ١٧٣ .

٢٠٠٨/٠٧/٣٠ . من كلمته في لقاءه مدراء الدولة بمناسبة عيد المبعث النبوى الشريف، بتاريخ

معاني الأحداث
التي اقترنـت
بـولادة الرسول
الأعظم (ص)

لم تكن ولادة الرسول الأعظم (ص) مجرد حدث تاريخي، بل كان حدثاً غير مسار البشرية. الظواهر التي يروي التاريخ أنها وقعت عند هذه الولادة الكبرى تعدّ إشارات بلغة لمعنى هذه الولادة و حققتها. يُروى أنه عند ولادة نبي الإسلام الكريم (صلى الله عليه و آله و سلم) اختلت علامات الكفر و الشرك في مختلف أنحاء العالم. النار في معبد النار في فارس و التي لم تكن قد انطفأت منذ ألف عام، انطفأت عند ولادة الرسول الكريم (ص). و اخمارت الأوثان التي كانت في المعابد، و تحير الرهبان و الخدمة في المعابد الوثنية من هذا الحدث! كانت هذه ضربة رمزية من هذه الولادة للشرك و الكفر و النزعة المادية. من جهة أخرى تعرض قصر الجبارية المشركين في إيران مثل هذه الأحداث و اخمارت قمة قصر المآذن – أربع عشرة قمة – و كانت هذه أيضاً إشارة رمزية أخرى على أن هذه الولادة ستكون مقدمة و أرضية لمكافحة الطغيان و الطواغيت في العالم. ذلك عن الجانب المعنوي و المادية القلبية و الفكرية للبشر، و هذا عن الجانب الاجتماعي و المادية الاجتماعية و العملية للبشر. مكافحة الظلم و الطغيان و السيادة الجائرة للظلميين على الناس، هذه هي الإشارات الرمزية لولادة الرسول الأكرم (ص).

لأمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه الصلاة و السلام) في نوح البلاغة العديدة من العبارات في وصف الزمن الذي ظهر فيه الرسول الأكرم (ص) و طلعت شمسه الوضاء. و من ذلك قوله: «و الدنيا كاسفة النور ظاهرة الغرور». ^١ لم يكن ثمة نور في بيئة الحياة البشرية، و كان الناس يعيشون في ظلمات.. ظلمات الجهل و ظلمات الطغيان و ظلمات الضلال، و طبعاً كان مظهر كل هذه الظلمات المكان الذي ولد فيه الرسول الأكرم (ص) ثم بعث هناك، و هو شبه الجزيرة العربية. كل الظلمات و الضلالات كان لها نموذجها في مكة و في بيئة الحياة في الجزيرة العربية. الضلالات الفكرية و العقائد و الشرك الذي يذل الإنسان و الأخلاق الاجتماعية العنيفة و انعدام الرحمة و قساوة القلب: «و إذا بُشّر أحدهم بالأنى ظل وجهه

١. نوح البلاغة، الخطبة رقم . ٨٨

مسوداً و هو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بُشّر به أ يمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون». ^١ هذا نموذج من أخلاق الناس في زمن ولادة الرسول الأكرم (ص) و من ثم زمن بعثته بعد ذلك. «و كان بعده هدى من الصلال و نوراً من العمى». ^٢ كانت الإنسانية عمياً فتفتحت أعينها. و كان العالم مظلماً فتثور بنور الرسول الأعظم (ص). هذا هو معنى تلك الولادة الكبرى و من ثم البعثة العظيمة. لستنا نحن المسلمين فقط مدينين للمننة و النعمة الإلهية العظمى بسبب هذا الوجود المقدس، بل الإنسانية كلها مدينة لهذه النعمة.

صحيح أن هداية الرسول الأعظم (ص) طوال قرون من الزمان لم تستغرق لحد الآن البشرية كلها، لكن هذا السراج المنير و هذا المشعل الوضاء موجود و قائم بين البشر و يهدي الناس تدريجياً و على مدى الأعوام و القرون إلى معين النور. و حين ننظر في التاريخ بعد ولادته (ص) و بعثته نلاحظ مثل هذا التدبير. سارت الإنسانية نحو القيم و عرفت القيم و سيتشر هذا الأمر تدريجياً و يستند يوماً بعد يوم، إلى أن يأتي إن شاء الله اليوم الذي يغمر فيه العالم كله «ليظهره على الدين كله و لو كره المشركون»، ^٣ و تبدأ البشرية مسيرتها الحقيقة على جادة المداية و الصراط الإلهي المستقيم، و سيكون هذا في الواقع بداية لحياة الإنسانية. يومئذ تتم حجّة الله على الناس و تضع الإنسانية أقدامها في هذا الطريق الكبير.

إننا اليوم كأمة إسلامية نقف حيال هذه النعمة الكبرى، و يجب أن ننتفع من هذه النعمة. يجب أن ننور قلوبنا و ديننا و أفكارنا و كذلك دنيانا و حياتنا و بيعتنا بركرة تعاليم هذا الدين المقدس. و لأنّه نور و بصيرة يمقدورنا أن نقرب أنفسنا منه و ننتفع من خيراته. هذا واجب عام علينا نحن المسلمين.

١. سورة النحل، الآيات ٥٨ و ٥٩ .

٢. إقبال الأعمال، ج ١ ، ص ٢٩٥ .

٣. سورة التوبه، الآية ٣٣ .

**الوحدة
الإسلامية
الواجب الأصلي
والمهم على
المسلمين**

ما أشدّد عليه اليوم، و هو من الواجبات الكبرى و الأولى على المسلمين، هو قضية الاتحاد و الوحدة. لقد سَمِّيَنا هذا الأسبوع الذي ينتهي بالسابع عشر من شهر ربيع الأول منذ مطلع الثورة بأسبوع الوحدة، و السبب هو أن يوم الثاني عشر من ربيع الأول حسب روایة مشهورة بين إخواننا أهل السنة هو يوم ولادة الرسول الأكرم (ص)، و يوم السابع عشر من ربيع الأول حسب الروایة المشهورة بين الشيعة هو يوم ولادته (ص). و قد أطلق الشعب الإيراني و مسؤولو البلاد على الأيام الواقعة بين هذين اليومين منذ بداية الثورة اسم أسبوع الوحدة، و جعلوا ذلك رمزاً للاتحاد بين المسلمين. لكن الكلام لا يكفي، و التسمية لا تكفي، بل يجب أن نعمل و نسير صوب الوحدة. العالم الإسلامي اليوم بحاجة إلى الوحدة. و ثمة عوامل تفرقة يجب التغلب و الانتصار عليها. كل الأهداف الكبرى بحاجة إلى كفاح و جهود. ما من هدف كبير يحصل من دون جهود و مكافحة. و الاتحاد بين المسلمين لا يتأتى من دون مكافحة. واجبنا هو الكفاح من أجل اتحاد العالم الإسلامي. بوسع هذا الاتحاد حلّ الكثير من العقد، و بقدرته إعزاز المجتمعات الإسلامية و الشعوب المسلمة. لاحظوا ما هو واقع البلدان الإسلامية، و انظروا ما هو حال المسلمين الذين يشكلون ربع نفوس العالم، و كيف أن تأثيرهم في سياسات العالم و حتى في قضاياهم الداخلية أضعف و أقل بكثير من تأثير القوى الأجنبية ذات النوايا السيئة. المسألة ليست أئمّهم قوى أجنبية فقط – و نحن نخدر أنفسنا و مخاطبينا منهم – بل لأنّهم إلى ذلك ذوو نوايا سيئة و مغزيات سلطوية، و يريدون إذلال الشعوب المسلمة و تحطيمها و فرض الطاعة المضطبة عليهم.

**العوامل الداخلية
و الخارجية
الناقضة لوحدة
الأمة الإسلامية**

ما هو السبيل من أجل أن تقف هذه البلدان البالغ عددها خمسين و نيفاً، و هذه الشعوب المسلمة مقابل هذه النوايا السيئة الواضحة الكبيرة المتغطرسة؟ هل من سبيل سوى الوحدة؟ يجب أن نتقارب من بعضنا. ثمة عاملان أساسيان عاممان يقفان دون الوحدة، و يجب علاجهما. أحد العاملين عامل داخلي يتمثل في عصبياتنا و الالتزاماتنا بمعتقداتنا، كل فئة

لنفسها. يجب التغلب على هذا. إيمان الجماعة بمبادئها وأصولها وعتقداتها شيء جيد جداً ومحمود، والإصرار عليها حسن أيضاً، لكن هذا يجب أن لا يتعدي حدود الإثبات إلى حدود النفي والتعرّض والعدوان. الإخوة في منظومة الأمة الإسلامية يجب أن يحافظوا على احترام بعضهم، ولم يطبعوا أن يحافظوا على عقائدهم، ولكن ليحافظوا أيضاً على احترام الآخرين وحدود الآخرين وحقوق الآخرين واحترام أفكارهم وعقائدهم، ويتركوا النقاش والمحادلات للمجالس العلمية. ليجلس العلماء وأهل الفن والاختصاص ويتناقشوا ويعتحوا في القضايا المذهبية، ولكن النقاشات العلمية وفي الأروقة العلمية تختلف عن التراشق بالإساءات في العلن وعلى مستوى الرأي العام، وحين يكون المتلقين من الذين لا قدرة لهم على التحليل والبحث العلمي. يجب أن يحتوي العلماء والمسؤولون هذه الحالات السلبية. كل الفئات والطوائف المسلمة تحمل مسؤوليات في هذا الشأن. على الشيعة واجبهم وعلى السنة واجبات. يجب أن يسيروا صوب الاتحاد. كان هذا أحد العاملين وهو العامل الداخلي.

و العامل الخارجي هو اليد المغرضة العاملة على التفرقة لأعداء الإسلام. يتحتم عدم الغفلة عن هذا الأمر. ليس اليوم وحسب، بل منذ أن شعرت القوى السياسية المهيمنة في العالم أن بقدورها التأثير على الشعوب ظهرت هذه اليد العاملة على التفرقة، وهي تعمل اليوم بأشدّ ما يمكن. وتساعدها وسائل التواصل الجماعي، ووسائل الإعلامية الحديثة العصرية. إنهم يؤجّجون النيران ويشعلونها وينحتون الشعارات من أجل التفرقة. يجب التحلي بالوعي واليقظة. وللأسف فإن البعض من داخل الشعوب والبلدان المسلمة يتحولون إلى وسائل لتنفيذ أولئك الأعداء الأصليين أغراضهم.

إنما لعبرة عظيمة جداً.. لاحظوا قبل عميدين حين انتصر شباب المقاومة اللبنانية وحزب الله لبنان على إسرائيل، وأذلوا الكيان الصهيوني بتلك الطريقة، وكان ذلك انتصاراً وازهاراً لل المسلمين في العالم الإسلامي، بادرت أيدي التفرقة من فورها إلى طرح قضايا الشيعة والسنّة، وتشديد العصبيات الطائفية والمذهبية، سواء في لبنان

نفسه أو في منطقة الشرق الأوسط، أو في كل العالم الإسلامي. وكان قضية الشيعة والسنّة بنت يومها و جديدة الظهور! كل ذلك من أجل إبعاد أبناء الأمة الإسلامية عن بعضهم بعد تحقيقهم ذلك الانتصار الكبير الذي عمل على تقويض قلوبهم من بعضها. كان هذا قبل عامين.

و قبل شهرين من الآن وقع انتصار آخر للأمة الإسلامية هو انتصار المقاومة الفلسطينية على العدو الصهيوني في غزة، وكان انتصاراً كبيراً و متألقاً. أي انتصار أكبر من أن يحاول جيش مجهز مدجج بالسلاح - استطاع في يوم من الأيام هزيمة ثلاثة جيوش كبيرة لثلاثة بلدان في سنوات ٦٧ و ٧٣ للميلاد - لمدة إثنين وعشرين يوماً و لا يستطيع فرض التراجع و المهزيمة على هؤلاء المجاهدين المؤمنين في غزة؟ و يعود مخفقاً خالي الفاض، فضلاً عن ذهاب سمعة الكيان الصهيوني و حماته و على رأسهم أمريكا أدراج الرياح، و إرقة ماء وجههم على التراب. كان هذا انتصاراً كبيراً لل المسلمين أدى إلى تقارب قلوبهم و تعاطفهم. هنا لم يكن يسعهم طرح قضية الشيعة و السنّة. لكنهم عمدوا إلى طرح قضايا القومية، و قضية العرب و غير العرب، و مشكلة أن قضية فلسطين تختص بالعرب و الإصرار على أنها قضية خاصة بالعرب، لكي لا يتحقق لغير العرب التدخل في قضية فلسطين! لماذا؟ قضية فلسطين قضية إسلامية، و ليس فيها عرب و عجم.

في قضايا العالم الإسلامي إذا طرحت المسألة القومية وكانت أكبر عامل تفرقة. حين يطرحون مسألة القوميات في قضايا العالم الإسلامي و يفصلون بين العربي و الفارسي و التركي و الكردي و الأندونيسي و الماليزي و الباكستاني و الهندي، فماذا يبقى بعدها؟ أليس هذا بيعاً للأمة الإسلامية و طلاقها و قدراتها في المزاد؟ هذه حيل الاستكبار و للأسف يوجد في العالم الإسلامي من يقع أسيراً لهذه الحيل. لا يريدون بقاء حلوة الانتصار في قضية لبنان و في قضية غزة متفاعلاً في نفوس المسلمين. يشيرون على الفور عامل نزاع و تفرقة و يختلفونه من أجل فصل ناس عن ناس.

واجبات الساسة و الخبرة و المثقفين في العالم الإسلامي لمواجهة حيل الاستكبار

يجب أن تكون الأمة الإسلامية يقطنة، و تقف مقابل المستكبارين. و الواجب الأول يقع على عاتق الساسة و المسؤولين. على المدراء و الساسة في العالم الإسلامي أن يتحلوا بالبيقة و الوعي. قد تصدر هذه الصرخة من حناجر بعض الساسة الأصدقاء، لكننا لا نقع في الخطأ. إننا لن نخطئ في تشخيص العامل الأصلي. قد يصدر شيء من حناجرهم لكنه ليس لهم، فالصرخة صرخة الآخرين. إنها صرخة القوى الاستكبارية في العالم. هم الذين يعارضون وحدة الأمة الإسلامية. و حتى لو خرجت هذه الصرخة من حناجر أشخاص داخل الأمة الإسلامية فهم مخدوعون. و هذا الصوت ليس صوّتهم. إنما هو صوت أولئك، و نحن نعرفحقيقة هذا الصوت. الساسة و المسؤولون بالدرجة الأولى و أيضاً في درجة متقدمة جداً المثقفون و من يتعاملون مع عقول الناس و قلوبهم، و علماء الدين و المستشرقون و الكتاب و الصحافيون و الشعراء و الأدباء و علماء العالم الإسلامي، يتحمّلون على عاتقهم هذا الواجب الكبير و هو فضح الأصوات التي تحاول الإخلال بهذه الوحدة و سلب المسلمين هذا الحبل الإلهي المتين.

يقول لنا القرآن الكريم صراحة: «و اعتصموا بحبل الله جمِيعاً». يمكن الاعتصام بحبل الله كل فرد على حدة و بشكل متفرق، لكن القرآن الكريم يقول لنا: «و اعتصموا بحبل الله جمِيعاً». أي كونوا معاً و سوية. «و لا تفرقوا»^١، لا تفرقوا و لا تبتعدوا عن بعضكم حتى في الاعتصام بحبل الله، فما بالك إذا أراد البعض الاعتصام بحبل الله و أراد آخرون الاعتصام بحبل الشيطان. حتى الاعتصام بحبل الله إذا أراد الجميع الاعتصام به فليكن ذلك سوية و جمِيعاً و بدون تفرقة و تشتت، بل بتعاطف و وئام و اتحاد. هذه هي قضية العالم الإسلامي الكبرى.^٢

١. سورة آل عمران، الآية ١٠٣ .

٢. من كلمته في لقائه المسؤولين و المدراء في البلاد مناسبة ذكرى ولادة الرسول الأعظم (ص) و الإمام جعفر الصادق (ع)، بتاريخ ١٥/٠٣/٢٠٠٩ م.

أبعاد التربية
العقلانية و
الأخلاقية و
القانونية في
بعثة الرسول
الأكرم (ص)

قضية بعثة النبي الأكرم (ص) التي ذكرت ألسنتنا القاصرة وأذهاننا الضعيفة حولها الكثير من الأمور واللاحظات – وقد ذكر الجميع حولها ما تيسّر لهم – هي في الواقع ساحة هائلة لن يمكن في القريب العاجل التعبير عن أبعادها كحدث كبير. كلما مرّ الزمان و تقدمت العصور و أدرك الإنسان بفضل تراكم تجاربه نوافع حياته و الأضرار و الآفات التي يعياني منها، كلما تجلّت الأبعاد المتنوعة لبعثة نبي الإسلام الكريم (ص) أكثر فأكثر. هذه البعثة في الحقيقة دعوة للناس إلى ساحة التربية العقلانية و التربية الأخلاقية و التربية القانونية. هذه أمور تحتاجها حياة الإنسان المادئة السائرة نحو التكامل.

١ - التربية
العقلانية

هناك التربية العقلانية بالدرجة الأولى، وهي استخراج طاقات و قدرات العقل البشري، و تحكيمها على أفكار الإنسان و أعماله، و منح الإنسان مشعل العقل البشري ليشخص الدرب بأنوار هذا المشعل، و يكون قادرًا على السير في هذا الدرب. هذه هي المسألة الأولى والأهم. و فضلاً عن أن القضية العقلانية مطروحة بدرجة أولى في بعثة الرسول الأكرم (ص) تطرح فيها كذلك مسألة المعرفة و العلم. مهما نظرتم في القرآن الكريم من أوله إلى آخره، و في تعاليم الرسول الكريم خارج نطاق القرآن، لوجدم هناك تركيزاً على العقل و التعلق و التأمل و التدبر و التفكير و ما إلى ذلك من تعابير. بل إن القرآن الكريم يقول عن لسان المجرمين في يوم القيمة: «لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا من أصحاب السعير». السبب في دخولنا نار جهنم هو أننا لم نراجع عقولنا و لم نستشرفه و لم نصح له و لم نشد إليه، و اليوم حيث قامت القيمة صار مصيرنا هذا المصير المّ الأبدى.

تحتل الدعوة للعقل و التعلق موضعًا رئيسيًا من الدرجة الأولى في سير كافة الأنبياء و حيواتهم، و خصوصًا في حياة الرسول الخاتم محمد (ص). و هذه النقطة طبعاً تبدو أقوى و أوضح و أنفع في الدين الإسلامي. لذلك يقول الإمام علي بن أبي طالب

١. سورة الملك، الآية ١٠ .

(عليه الصلاة و السلام) في سبب بعثة الأنبياء: «ليستأدوهم ميثاق فطنته»، و يستمر إلى أن يقول: «و يشيروا لهم دفائن العقول». ^١ أي إن الأنبياء يريدون استخراج كنوز العقل للإنسان. إنما كنوز عقلية موجودة في داخلنا أنا و أنت، و الإشكال في أمرنا هو أنها أشبه بشخص ينام على كنز و لا علم له به و لا ينتفع منه و يموت من الجوع. هكذا هو وضعنا. حين لا نراجع العقل و لا نحكمه و لا نرثيه و لا نعطيه زمام النفس، فسيكون هذا هو وضعنا.

هذا كنـز نمتلكه، لكنـنا لا ننتفع و لا نستفيد منه، و لهذا السبـب نعاني من الجهل و أعراضـه الكـثـار و مشـكلـات حـيـاتـيـة في الدـنـيـا و الـآخـرـة. و من هـنـا يقول الرـسـول الأـكـرم (صـلـى اللهـ عـلـيـهـ و آـلـهـ و سـلـمـ) في حـدـيـثـ لـهـ: «إـنـ العـقـلـ عـقـالـ مـنـ الجـهـلـ»، ^٢ و العـقـالـ هو الـحـيـلـ الـذـي يـرـطـبـونـهـ بـأـرـجـلـ الـحـيـوـانـاتـ مـنـ إـبـلـ أوـ غـيرـهـاـ حـتـىـ لـاـ تـتـحـركـ و يمكنـ السـيـطـرـةـ عـلـيـهـاـ. إـنـهـ رـيـاطـ يـمـنـعـ الـإـنـسـانـ مـنـ الـحـرـكـةـ بـجـهـلـ. ثـمـ يـقـولـ: «وـ النـفـسـ كـمـشـلـ أـخـبـثـ الدـوـابـ»، ^٣ نـفـسـ الـإـنـسـانـ مـثـلـهـاـ مـشـلـ أـسـوـءـ الـحـيـوـانـاتـ وـ أـكـثـرـهـاـ شـرـوـرـاـ. هـذـهـ هـيـ النـفـسـ.. «فـإـنـ لـمـ تـعـقـلـ حـارـتـ».. حـينـ لـاـ تـرـيـطـ هـذـهـ النـفـسـ وـ لـاـ تـضـرـبـ عـلـيـهـاـ الـأـرـثـةـ وـ لـاـ تـكـنـ أـرـقـتـهـاـ فـيـ الـيـدـ فـإـنـاـ سـتـحـيـرـ كـالـحـيـوـانـ الـوـحـشـيـ الـذـيـ لـاـ يـدـرـيـ إـلـىـ أـيـنـ يـذـهـبـ. هـذـهـ الـحـيـرـةـ تـحـلـلـ لـلـإـنـسـانـ الـمـشـكـلـاتـ فـيـ حـيـاتـهـ الـشـخـصـيـةـ وـ الـاجـتمـاعـيـةـ وـ الـمـجـتمـعـ الـإـنـسـانـيـ.. هـذـاـ هـوـ الـعـقـلـ.

أول مـهمـةـ لـلـرـسـولـ الـأـكـرمـ (صـ)ـ هيـ إـثـارـةـ الـعـقـلـ وـ تـخـفيـزـهـ وـ تـفـعـيلـ قـدـرـاتـهـ. تـقوـيـةـ الـقـدـرـةـ عـلـىـ التـفـكـيرـ فـيـ الـجـمـعـ. هـذـاـ هـوـ حـلـلـ الـمـشـكـلـاتـ. عـقـلـ الـإـنـسـانـ هـوـ الـذـيـ يـقـودـ الـإـنـسـانـ وـ يـهـدـيـهـ إـلـىـ الـدـيـنـ. وـ عـقـلـهـ هـوـ الـذـيـ يـفـرـضـ عـلـيـهـ الـعـبـودـيـةـ أـمـامـ اللهـ. وـ عـقـلـهـ هـوـ الـذـيـ يـنـهـاـ وـ يـمـنـعـهـ عـنـ الـأـعـمـالـ السـفـيـهـةـ وـ جـاهـلـةـ وـ التـهـالـكـ عـلـىـ الـدـنـيـاـ. هـذـهـ هـوـ الـعـقـلـ. لـذـاـ فـالـمـهـمـةـ الـأـوـلـىـ هـيـ تـعـزـيزـ طـاقـاتـ الـعـقـلـ وـ التـعـقـلـ فـيـ الـجـمـعـ. وـ هـذـاـ

١. نـجـحـ الـبـلـاغـةـ، الـخـطـبـةـ رقمـ ١ـ .

٢. تـحـفـ الـعـقـولـ، صـ ١٥ـ .

٣. تـحـفـ الـعـقـولـ، صـ ١٥ـ .

هو واجبنا.

و نحن اليوم في المجتمع الإسلامي الذي أردنا له أن يكون نموذجاً للمجتمع الإسلامي الذي دعا إليه الرسول الأكرم (ص)، على الرغم من كل نقاط ضعفنا و نواقصنا و إشكالاتنا مقابل تلك العظمة الفذة التي كانت للرسول العظيم، سرنا و أردنا أن نحقق نموذجاً لذلك المجتمع. في هذا المجتمع أيضاً يجب أن يكون العقل معياراً و ملائكاً.

٢ - التربية الأخلاقية

النقطة الثانية من التربية هو التربية الأخلاقية، حيث قال: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»^١، بعث ليكمل المكرمات و الفضائل الأخلاقية بين الناس. الأخلاق هو ذلك الهواء الطيف الذي إن توفر في المجتمع البشري استطاع الناس بت奉سنه أن يعيشوا حياة سليمة. وإذا لم تتوفر الأخلاق و إذا ساد انعدام الأخلاق، و عمت حالات الحرص والأهواء النفسية و الجهل و طلب الدنيا و المقت الشخصي و الحسد و البخل و سوء الظن و عدم الثقة، فستكون الحياة عسيرة و ستضيق الآفاق و سيسدل الإنسان القدرة على التنفس السليم. لذلك ورد في القرآن الكريم في عدة مواضع تعبر «يزكيهم و يعلمهم الكتاب و الحكمة»، و التركة هي الرشد الأخلاقي، و هي سابقة على التعليم. و في هذه الرواية التي أوردناها عن الرسول الأكرم (ص) حول العقل، و بعد أن يبيّن ما هو العقل، يقول: و من العقل ينشأ الحلم، و من العلم ينشأ العلم. ليتنفتح الإنسان إلى ترتيب هذه الأمور: العقل يوجد الحلم أولاً، و هو التحمل و الأناء. و إذا توفرت حالة الحلم و الأناء تتوفر الأرضية لتحصيل العلم و زيادة المعلومات – فردياً و مجتمعاً – أي إن العلم يأتي في المرتبة التالية للحلم. و الحلم هو الأخلاق. و في الآيات القرآنية «يزكيهم و يعلمهم الكتاب و الحكمة» تقدم التركة. هذه هي التربية الأخلاقية. و نحن اليوم بأمس الحاجة لهذه التربية الأخلاقية. نحن أي الشعب الإيراني و المجتمع الإسلامي في هذه الحدود الجغرافية، و كذلك في كل

١. بخار الأنوار، ج ٦٨ ، ص ٣٨٢ .

العالم الإسلامي والأمة الإسلامية الكبرى ومجتمعات المسلمين. هذه هي حاجتنا الأولى.

٣ - التربية

القانونية

ومن بعد ذلك تأتي التربية القانونية والانضباط القانوني. كان شخص الرسول الأكرم (ص) أول عامل بكل أحكام الإسلام. يُروى عن أم المؤمنين عائشة أنها سئلت عن أخلاق الرسول (ص) وسلوكه فقالت: «كان خلقه القرآن».. أخلاقه وسلوكه وتصوفاته وحياته كانت تجسيداً للقرآن. أي لم يكن ثمة شيء يأمر به الرسول الأكرم (ص) ويكون هو نفسه غافلاً عنه. هذه كلها دروس لنا، هذه كلها دروس. لا أننا نروم مقارنة تلك العظمة بوضعنا التافه الصغير، فهو قمة، ونحن نسير على السفح، لكننا نسير نحو القمة فهي المعيار والملاءك.

الرسول الأعظم (ص) كان نفسه عاملاً: «آمن الرسول بما أنزل إليه من ربِّه»،^١ و المؤمنون تبع للرسول يقتدون به. الرسول عامل و الناس ينظرون لعمله فيترسمون الخطى و الطريق. هذا هو دور الكبار و القادة و النخبة في المجتمع. يجب عدم الاكتفاء بالكلام.

ليس المبعث مجرد احتفال مختلف به و نصفق و نأكل الحلويات و نوزعها و نفرح، ليس هذا هو المبعث. المبعث طور و مرحلة و عيد. و العيد هو الحطة الزمنية التي تنتهي الإنسان إلى حقيقة معينة. إنه عيد.. لتنظر للمبعث و للرسول الأكرم (ص) و لتلك الجهد المائلة العظيمة، ثم لتنظر إلى ذلك التأثير العميق المائل، ما الذي فعله هذا الرجل العظيم، عظيم العظماء هذا، خلال عشرة أعوام، و عشرة أعوام كاللحظة الواحدة في عمر الشعوب. هل يمكن مقارنة عشرة أعوام أخرى مع هذه الأعوام العشرة المباركة التي حكم فيها الرسول الأكرم (ص)؟! أية حركة اطلقها في تاريخ الإنسانية، و أي طوفان أطلقه، و أي ساحل أمان دلَّ عليه الإنسانية وراء ذلك الطوفان، و كيف هدى إلى الدرب؟! عاش ثلاثة و ستين عاماً. و نحن الآن نزيد و بأعمار طوال و بهذه

١. سورة البقرة، الآية ٢٨٥ .

التحركات الصبيانية أن نسير في ذلك الطريق بقدر ما نستطيع. حين تحصل مثل تلك الحركة بكل ذلك الإخلاص و الجهاد و المداية الريانية، فستكون النتيجة ما ترتب على عشرة أعوام من حكومة النبي (ص) و تلك العظمة التي انبثقت منها.^١

حاجة الأمة الإسلامية الشديدة إلى إعادة إنتاج الحقائق الإسلامية

هذا اليوم يوم مبارك جداً على المسلمين. ففي اليوم الذي جاء فيه هذا الكيان المقدس إلى هذا العالم كان نوراً في صميم الظلمات المتراءكة، «ظلمات بعضها فوق بعض». ^٢ يقول الإمام علي بن أبي طالب (عليه الصلاة و السلام) في شرحه لتلك الأيام والأوضاع و الظلمة التي عاشتها البشرية إذ ذاك: «و الدنيا كاسفة النور ظاهرة الغرور». ^٣ نور الإنسانية كان قد غاب عن قلوب الناس و المجتمعات في ذلك الحين، لا في بيئة الجزيرة العربية و حسب، بل حتى في قلب الامبراطوريات الكبرى و الحكومات المتحضرة ذلك الوقت، و أعني بها الدولة الإيرانية القديمة و الروم القديمة. كان الغرور و الأنحطاء في فهم الحقيقة ظاهرة شائعة في كل مفاصل الحياة البشرية. لم يكن البشر يعرفون الطريق، و لا يعرفون الهدف. طبعاً كان ثمة مؤمنون يسيرون في الدرج الصواب. هذا لا يعني أن كل واحد من البشر في ذلك الأوان كان عاصياً و مذنباً، لكن الوضع العام للعالم هو على ما ذكرنا. الوجه العام للعالم هو وجه الظلم و الظلم و نسيان كل مؤشرات الإنسانية. في مثل ذلك الوضع سطع نور الرسول الأكرم (ص) بإرادة من الله الحق العزيز المتعال. هذا يوم لا ينسى في تاريخ البشر، و استذكاره لا يعني أننا نروم تحديد أثره في العالم. فسواء شئنا أم أبينا تركت هذه الحادثة و هذه الظاهرة العجيبة العظيمة أثراً في التاريخ البشري. إذا كان هناك للشرف الإنساني و الفضائل الأخلاقية و الخصال الحميدة ذكر و اسم فسبب ذلك هذا الوجود المبارك، و هذهبعثة التي أكملت كل البعثات و جمعت كل فضائل الأنبياء و الرسل (ع).

١. من كلمته في عيد المبعث النبوى الشريف، بتاريخ ٢٠٠٩/٠٧/٢٠ م.

٢. سورة النور، الآية ٤٠ .

٣. نفح البلاغة، الخطبة رقم ٨٩ .

نَحْنُ الْأُمَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ يَجِبُ أَنْ يَجْعَلُ هَذَا الْحَدِيثُ دُرْسًا لَنَا. قَبْلَ أَنْ نَعْلَمْ غَيْرَنَا يَجِبُ أَنْ نَعْلَمْ أَنفُسَنَا. الْأُمَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ الْيَوْمُ أَحَوجُ مَا تَكُونُ لِإِعْدَادِ إِنْتَاجِ الْحَقَائِقِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَإِعْدَادِ إِنْتَاجِ تَلْكَ الْأَحْوَالِ الْعَظِيمَةِ الْمَاهِلَّةِ، نَحْنُ الْأُمَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ الْيَوْمُ مُبْتَهِيُّ الْحَاجَةِ لِمُصْبَاحِ هَدِيَّةِ الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ (ص). الْأُمَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ مِنْ حِيثِ حَجْمِ السُّكَّانِ مَنْظُومَةٌ كَبِيرَةٌ وَمَبِيرَةٌ - فَهُنَّاكَ مِلِيَّارٌ وَنَصْفِ المِلِيَّارِ مِنَ الْبَشَرِ يَشْكُلُونَ الْأُمَّةَ الْإِسْلَامِيَّةَ فِي الْعَالَمِ - وَمَنَاطِقٌ تَوَاجِدُ هَذَا الْحَجْمُ الْمَاهِلُ مِنَ النَّاحِيَّةِ الْجُغرَافِيَّةِ وَمِنْ حِيثِ الْخَصَائِصِ الْطَّبِيعِيَّةِ وَمِنْ حِيثِ مَصَادِرِ الْحَيَاةِ مِنْ أَكْثَرِ مَنَاطِقِ الْعَالَمِ حَسَاسِيَّةً وَأَهْمِيَّةً. وَمَعَ أَنَّهَا لَا يَعُوزُهَا شَيْءٌ مِنْ حِيثِ الْمَوَاهِبِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَالْمَصَادِرِ وَالْمَوَاهِبِ الْطَّبِيعِيَّةِ، فَإِنَّهَا فِي الْوَقْتِ الْحَاضِرِ بِجَمِيعِهِ تَاهَةٌ وَحَائِثَةٌ. وَسَبِيلُ حِيرَتِهَا هُوَ مَا تَلَاحِظُونَهُ. الْمُشَكَّلَاتُ الْعَالَمِيَّةُ الْكَبِيرَى مُوْجَودَةٌ غَالِبًا فِي هَذِهِ الْبَلَادِ الْإِسْلَامِيَّةِ، الْفَقْرُ مُوْجَدُ فِي الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَهُنَاكَ انْدَعَامُ الْعَدْلِ وَالتَّعْبِيزِ، وَالتَّأْخِيرُ الْعَلْمِيُّ وَالتَّقْنِيُّ وَالْإِهْمَازُ الْقَنْقَاعِيُّ وَالْبَؤْسُ الْقَنْقَاعِيُّ. أَقْوَابُ الْعَالَمِ يَضْيِعُونَ حُوقُوقَ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِكُلِّ سَهْوَةٍ وَوَضْوَحٍ، وَالْأُمَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ لَا تَسْتَطِعُ الدِّفاعَ عَنْ حَقَّرَقَهَا.^١

بِعَثَةِ النَّبِيِّ الْأَكْرَمِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

عيد المبعث أكبر ذكرى تاريخية خالدة لأنَّه أوجَد حقبةً تاريخيةً حساسةً للغاية، وعرض على الإنسانية طريقاً ومساراً إذا سار فيه أبناءُ الإنسانية فسيحقّقون كل مطاليبِهم وتميّاً لهم الفطرية والطبيعة التاريخية. حين ننظر على مرّ التاريخ نجد أن البشرية أئّت وعانت من انعدام العدالة. بمعنى أن العدالة مطلب كبير لكل أبناء البشر على امتداد التاريخ. لو رفع اليوم شخص رأية العدالة يكون في الواقع قد طرح مطلباً إنسانياً تاريخياً طويلاً طبيعياً فطرياً. الدين الإسلامي وحركة الإسلام وبعثة النبي الأكرم (ص) تنشد العدالة كمطلوب يقف على رأس أهدافها و مطاليبها. و شأنها في ذلك شأن ما نادى به كل الأنبياء الآخرين.

المطلوب الإنساني المهم الكبير الآخر هو الصلح والأمن والسلام. البشر بحاجة

١. من كلمته بمناسبة ولادة الرسول الأعظم (ص) والإمام جعفر الصادق (ع) بتاريخ ٢٠١٠/٠٣/٠٤ م.

للهدوء والمناخ الآمن المادئ داخل أنفسهم وداخل عوائلهم وفي مجتمعاتهم وعلى المستوى العالمي والدولي، من أجل أن يعيشوا وينمووا أفكارهم ويتقدموا عملياً ويستقرروا نفسياً. الهدوء والأمن والسلم والصلح من المطالب الأساسية للإنسانية. الإسلام يحمل رسالة الأمن والصلح والسلام. حين نقول تبعاً للقرآن الكريم وحسب تعاليمه إن الإسلام دين الفطرة، وهذا هو معنى قولنا. الدرس الذي يضعه الإسلام أمام البشرية هو درب الفطرة، وطريق تلبية الاحتياجات الفطرية للإنسان. كانت بعثة الرسول الأكرم (ص) من قبل رب العالمين بهذه الدقة والأهمية، وقد وعدت وبشرت بفلاح الإنسانية، «بشيراً ونديراً». ^١ البشارة بالدرجة الأولى بشير بهذه الحياة المادئة المصحوبة بالعدالة المتناسبة وطبيعة البشر. وبالطبع، ثمة وراء هذا بشارة الشواب الإلهي ذات الصلة بالحياة الأبدية للإنسان. لذا كانت بعثة الرسول (ص) في الحقيقة بعثة للرحمة. بهذه البعثة شملت الرحمة الإلهية عباد الله، وافتتح لهذا الطريق أمام البشر، وطرح العدالة والأمن والسلام. «قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين، يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجمهم من الظلمات إلى النور». ^٢ بهذه الدساتير والأوامر والنواهي والتعاليم دلّ رسول الإسلام الأكرم (ص) البشر على سبل الأمن والسلام. وسبل السلام – سبل الأمن والهدوء والاستقرار والسكينة – تعود لكل البيعات المهمة للإنسان، من البيعات القلبية الداخلية للإنسان إلى بيعات المجتمع الخارجية والبيئة العائلية وبيئة العمل والكسب وبيئة الحياة الجماعية، وصولاً إلى البيئة الدولية العالمية. هذا هو الشيء الذي ينشده الإسلام ويرثو إلهي.

ما يستهدفه الإسلام كعدو هو تحديداً الأمور التي تتعارض مع الخطوط الأصلية لحياة البشر. الذين يعارضون العدالة ويناؤن الصلح والأمن والاستقرار، والذين يخالفون نقاء الروح وصفاءها وسموها، هؤلاء يقفون على الضد من الدعوة النبوية. لقد أوجب الله الجهاد على المسلمين من أجل العدالة. وهو فرض لا يختص بالإسلام،

١. سورة البقرة، الآية ١١٩ .

٢. سورة المائدة، الآيات ١٥ و ١٦ .

فهناك جهاد في كل الأديان الإلهية. أعداء الدعوة هم الذين يعارضون هدوء الناس واستقرارهم و سكينتهم و راحة المجتمع و تعاليه، و يعادون مصالح البشر. هذه هي الأمور التي يستهدفها الإسلام و يريد القضاء عليها. منذ بدايات البعثة شخص نبي الإسلام الكريم (ص) عبر آيات الوحي الإلهي نقاطاً واضحة جلية في هذا المضمار.

في سورة «إقرأ» هذه التي تعتبر آياتها الأولى حسب الظاهر أول ما نزل على الرسول الأكرم (ص) – وقد نزلت آياتها اللاحقة بعد فترة من ذلك لكنها أيضاً من آيات بدايات البعثة – يقول عزّ و جلّ: «كلا لئن لم ينته لنسفون بالناصية، ناصية كاذبة خاطئة، فليدع ناديه، سندع الزانية». ^١ الذين يقفون بوجه دعوة الرحمة و العزة و الاستقرار و السكينة و الأمان، هددتهم الله تعالى في أول سورة من القرآن الكريم.

أو في سورة «المدثر» المباركة و هي أيضاً من أوائل السور التي نزلت على الرسول الأكرم (ص)، نرى تشديداً ضد العنصر المعارض لحياة الناس: «ذرني و من خلقت وحيداً، و جعلت له مالاً ممدوداً، و بنين شهوداً، و مهدت له تمهيداً، ثم يطمع أن أزيد، كلا إنه كان لآياتنا عنيداً، سأرهقه صعوداً». ^٢ هذه إشارة إلى هذه الحركة العظيمة و معارضتها و من ينادون طريق الحق. إذن، فشلة في الإسلام كفاح و جهاد، بيد أن هذا الجهاد حرب على معارضي سكينة المجتمع الإنساني و استقراره، و أعداء العدالة و المترتبين بالسعادة الإنسانية. من هنا حين زارع القرآن الكريم و سيرة الرسول الأكرم (ص) بحد أنه منذ اليوم الأول لتأسيس الحكومة الإسلامية، كان ثمة أناس غير مسلمين يعيشون الأمان و الأمان في ظل الرسول الأكرم (ص). اليهود الذين كانوا في المدينة المنورة أبىم الرسول معهم معاهدات ليعيشوا حياة هادئة إلى جواره. لكنهم تأمروا ضده و عارضوه و خانوه و طعنوه من الخلف، لذلك جابهم الرسول. لو لم يكن يهود المدينة قد عارضوه و عادوه و خانوه لربما لم يكن الرسول ليتعرّض لهم أبداً. إذن، هذه

١. سورة العلق، الآيات ١٥ - ١٨ .

٢. سورة المدثر، الآيات ١١ - ١٧ .

الدعوة للإسلام دعوة معنوية، و هي دعوة مدعومة بالأدلة و البراهين.. دعوة يعنى عرض الحياة المشرقة السعيدة على الإنسانية.

سمات الجاهلية الحديشة في العصر الراهن

يظهر معارضون في المقابل.. و الإسلام يقضي على هؤلاء المعارضين و يقيهم من طريقه. لا يعمل الإسلام بطريقة منفعلة. إذا كان ثمة معارضون ينادون العداء سعادة البشر و دعوة الحق، فإن الإسلام يكافح هؤلاء المعارضين و يتصدى لوجههم. قارروا هذا بما قاموا به القوى المعادية على مر التاريخ، و تقوم به اليوم أيضاً. إنما تحارب من أجل تنمية سلطتها و هيمنتها و من أجل نشر الإجحاف و اللاءدة.

انظروا اليوم و ستجدون القوى المهيمنة المستكيرة في العالم تصنع الأسلحة لتهديد البشرية و ليس لنشر العدالة، بل لنشر اللاءدة، و ليس لتوفير الأمان للناس بل لسلب الناس أمنهم و من لا يستسلمون لهم. هذه هي الحالة و القضية في العالم اليوم.

و لهذا السبب نسمى الجاهلية الموجودة في العالم اليوم بالجاهلية الحديثة. لم ينته عصر الجاهلية بعد، فالجاهلية معناها مواجهة الحق و مواجهة التوحيد و حقوق الإنسان و مناورة السبيل الذي اختطه الله تعالى لسعادة الإنسانية. و هذه الجاهلية موجودة اليوم أيضاً و بشكل حديث و باستخدام العلوم و التقنيات المتقدمة و الأسلحة النووية و مختلف أنواع السلاح من أجل ملء جيوب أصحاب الصناعات المخربة و المدمرة لحياة البشرية.

قصة التسلح و التكاليف العسكرية في العالم اليوم من القصص المخزنة. تنتج مصانع السلاح في العالم اليوم مختلف أنواع السلاح من أجل بيعها. يختلقون الحروب و يوقعون بين الناس و يضعون الحكومات في مقابل بعضها و يخلقون التهديدات و الأخطر في العالم من أجل تأمين أفكارهم الخبيثة و إشعاع رغباتهم الدنيئة.

لذلك طالما بقيت القوى العظمى تحرك القضايا العالمية فإن الحروب في العالم لن تنتهي. الحروب فيها منافع و مصالح لهم. إنما ليست حروباً في سبيل العدالة. يكذب الأميركيان و الآخرون حين يقولون إننا نحارب من أجل الأمن. لا، العكس تماماً هو

الصحيح. أين ما سجلوا تواحداً عسكرياً و تحركات عسكرية أدى ذلك إلى انعدام الأمن واللاعدالة و تعثر حياة الناس و صعوبتها. منذ أن ظهرت هذه الأدوات و الوسائل الحديثة في العالم تعرّض البشر لشئي صنوف الضغوط. على مدى خمس و أربعين سنة - أي من بعد الحرب العالمية الثانية إلى سنة ١٩٩٠ ميلادية - التي تسمى اصطلاحاً بفترة الحرب الباردة، ورد في التقارير الدولية الرسمية أن الأرض لم تخلُ من الحروب إلا ثلاثة أسابيع فقط! طوال كل هذه الأعوام الخمسة والأربعين كانت الحروب تتشتعل هنا و هناك. من الذي أوجد هذه الحروب و أشعلها؟ إنهم الذين يصنعون السلاح. الميزانيات العسكرية للقوى العظمى اليوم من أبهض الميزانيات. وفقاً لإحصائياتهم هم أنفسهم في السنة الميلادية الماضية أنفقت الحكومة الأمريكية أكثر من ستمائة مليار دولار على الشؤون العسكرية! و نحن نشاهد هذه الأموال العسكرية اليوم إلى جوارنا. إنها تنفق في أفغانستان لقمع الشعب الأفغاني المسلم، و تنفق في العراق من أجل السيطرة على الشعب العراقي، و تنفق على الكيان الصهيوني الخبيث من أجل إهاب الشرق الأوسط بشكل دائمي. هذه هي توجهات القوى الفاسدة راهناً. الإسلام يحارب هؤلاء و يعارضهم.

مُؤشـرات الصـحـوة الإـسـلامـية و الزـوـالـ الأـكـيدـ لـلاـسـتـكـبارـ و أـعـدـاءـ العـدـالـةـ و الـسـلامـ

الذين ينفعهم و يرحبهم أن تقتل الشعوب و الحكومات المسلمة في ما بينها، و يكره بعضها بعضاً، و يخاف بعضها من بعض، و يعتبر بعضها بعضاً تهديداً، هم الذين يرتبط استمرار اقتدارهم الاستكباري و الاستعماري بوجود حروب في العالم. الحرب بالنسبة لهم وسيلة نخب و سلب. تقتل هذه الأعداد الكبيرة من الناس، و تنفق كل هذه الأموال من خزائن الشعوب على التسلح و شراء الأسلحة الغالية الأثمان، لماذا؟ من أجل أن يحصل أصحاب الشركات الكبرى على أموال أكثر، و يتمتعون بحياتهم أكثر. هذا هو النظام الطاغوي الجاهلي الخطير على البشرية الذين يسود للأسف على حياة الناس البعيدين عن جادة التوحيد.

لا مرء أن هذا المنهج لن يبقى، لأنه بخلاف الحق، و لأنه باطل، و زائل.. « جاء

الحق و زهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً.^١ الباطل هو الشيء المعارض للسنن الإلهية في الخلق. هذا الباطل زائل و آيل للزوال والاضمحلال، و لا يبقى. و مؤشرات هذا الزوال مما يمكن للمرء أن يشاهده اليوم. حين ينظر المرء للوضع الدولي و العالمي يمكنه مشاهدة علامات و مؤشرات هذا الزوال.

لقد تغير وضع العالم، و صحت الشعوب. و لحسن الحظ فإن هذه الصحوة أكبر لدى الشعوب المسلمة. الشعوب و الحكومات المسلمة أخذت تدرك أهمية الإسلام و عظمته و عظمته هذا السنن و الدعامة القوية المؤثرة. لقد أذلت الصحوة الإسلامية في العالم الإسلامي راهناً إلى ضمور الاقتدار السابق للقوى الأخرى. الوضع الأمريكي اليوم مختلف عنه في السابق. و القوى التي تأتي في المراتب التالية لأمريكا تعيش نفس الوضع من ضمور و تراجع، و هذا واضح. على الشعوب المسلمة أن تعيّن سبيلاً للتوحيد و تعلم أن وعد الله حق و صدق. سعادة المسلمين اليوم في أن يتحدون مع بعضهم حول محور الإسلام.

طبعاً العداء و العرقليل موجودة و ستبقى. أين ما كانت صحوة شعر أعداء الإنسانية بمزيد من الخطأ، لذلك يمارسون مزيداً من العداء و الخصومة. إننا نعرف جيداً معنى العداوات و الخصومات التي تمارس حالياً ضد الجمهورية الإسلامية، و نعلم أسبابها، فالجمهورية الإسلامية رفعت راية صحوة الشعوب المسلمة بيديها، و لأن الجمهورية الإسلامية تدعو الشعوب و الحكومات إلى الاتحاد و العزة و إلى أن تعرف الشعوب و الحكومات قدر عزتها في ظل الإسلام. هذا هو سبب العداء، و نحن نعرف ذلك. و نعلم أن هذه الخصومات سوف تتحقق، كما أخفقت لحد الآن. يعملون ضد الجمهورية الإسلامية منذ ثلاثة و ثلاثين عاماً، و الجمهورية الإسلامية تتجذر و تزداد قوّة يوماً بعد يوم بفضل من الله تعالى و على مدى ثلاثة و ثلاثين سنة. و سوف يستمر هذا السياق. كلما استمر العداء سيزداد شعبنا و الشعوب الإسلامية و الدعامات الشعبية في العالم الإسلامي وعيّاً و صحوة، و ستعرف قدر نفسها أكثر.

١. سورة الإسراء، الآية ٨١ .

نتمنى أن يعين الله كل الحكومات و الشعوب الإسلامية لتعتمد على نفسها و لا تخاف من القوى المستكيرة، و تعلم أن اقتدار هذه القوى آيل للنزوal، و هو اقتدار زائف باطل، و هذا الباطل لا يقى، و ما يقى هو ما ينفع البشرية و الناس: «و أما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض». ^١

نرجو من الله تعالى ببركة البعثة النبوية أن يقربنا جميعاً إلى طريق الإسلام أكثر و سبل الإسلام أكثر، و يزيد قلوبنا معرفة بالأحكام و المعرفات الإلهية، و يقرب قلوب المسلمين من بعضها، و يجعل أيدي الحكومات المسلمة تعاضد مع بعضها ل تستطيع الأمة الإسلامية إن شاء الله أن تستعيد اقتدارها و عزّها و سمعتها المفقودة. ^٢

ولادة نبي الإسلام الكريم (ص) بداية فجر مشرق في حياة البشر. بهذه الولادة ظهرت البشائر الإلهية لأنظار الناس في ذلك الزمان. تخدمت قمم قصور الملوك الظلمة و انطفأت النيران في معابد النار، و زالت المقدسات الزرقاء و الخرافية في مناطق مختلفة من العالم بفضل القدرة الإلهية. كانت هذه الولادة مقدمة للبعثة، و كانت هذه البعثة رحمة لكل العالمين، كما قال عزّ و جلّ: «و ما أرسلناك إلا رحمة للعالمين». ^٣ تتعال العالم كله ببركات هذا الوجود المقدس و سوف يقى يتمنى. تطور البشر، و التقدم العلمي، و حالات الوعي المختلفة، و الاكتشافات العظيمة في عالم الوجود كانت بفضل ظهور نور الإسلام في تلك البرهة العجيبة من التاريخ. و قد وضعت هذه النعمة بين أيدي الناس. لو كان البشر يتمتعون بمزيد من الوعي و بمعرفة أعمق و يعرفون الرسول الأكرم (ص) و الإسلام و رسالته، وكانت صفحة التاريخ الإنساني اليوم صفحة أخرى. جهلنا نحن البشر و قصر نظرنا هو الذي تسبب في تأخرنا. و لا مراء

١. سورة الرعد، الآية ١٧ .

٢. من كلمته في لقائه المسؤولين و المدراء في البلاد مناسبة يوم المبعث النبوى الشريف، بتاريخ ٢٠١٠/٠٧/١٠ .

٣. سورة الأنبياء، الآية ١٠٧ .

أنه كلما تقدم التاريخ أكثر و كلما ازدادت معرفة البشر و استيعابهم و قدراتهم على الفهم فسوف تزداد هذه الشمس المشرقة تألقاً، و سيزداد الانتفاع من هذه الأنوار الحياتية. و نحن اليوم نشاهد مؤشرات ذلك.

العالم اليوم يضيق ذرعاً تحت الأعباء المفروضة عليه من قبل الحضارة المادية، و هو يبحث له عن سبيل نجاة. ما تلاحظونه اليوم من صحوة إسلامية في بعض البلدان الإسلامية مثل مصر و تونس، مؤشر و دليل على تبرّم البشرية و أنينها. عندما يهيمن الشياطين على حياة الناس - و شياطين الأنس أخطر من شياطين الجن - سوف يتدخل مستكبو العالم في حياة الناس الاجتماعية و حيّاتهم الخاصة و في اقتصادهم و في فهمهم و تصوراتهم، و يجيئونهم نحو طرق الضلال، و تكتسي الحياة أجواء حالكة، و مثل هذه المناحات الثقيلة المعتمة لا تنسمح مع فطرة البشر، و بالتالي فإن الفطرة الإنسانية سوف تستيقظ، و هذا ما يحدث في العالم اليوم. حتى العالم الغربي الواقع أسيراً لعجلات و هيمنة القوى المادية بدأ اليوم يتبرّم و يضجر. لو كانا نحن المسلمين نستطيع عرض الإسلام بصورة صحيحة، و لو كنا نستطيع مطابقة سلوكنا مع الإسلام فثقوا إن العالم سوف يميل نحو الإسلام ميلاً عموماً شاملأً. الضعف و الإشكال فيما، و نحن أول من يخاطبهم القرآن الكريم و رسالة الرسول الأكرم (ص). يجب أن نصلح أنفسنا و نقوم و وضعنا.

آثار الصحوة الإسلامية في الحقبة المعاصرة

لقد صحت الشعوب اليوم بفضل الإسلام، و بوسع المرء مشاهدة هذه الصحوة على مستوى العالم الإسلامي. الأثر الأول لهذه الصحوة هو إبداء الانزعاج من تواجد المستكبين في هذه المنطقة. الأمريكان يحاولون عبر سياساتهم و إعلامهم الواسع أن ينأوا بأنفسهم عن سهام الحركة الشعبية العظيمة التي تشاهداليوم في بعض البلدان الإسلامية. لكن هذا غير ممكن. فهذه الحركات هي بالدرجة الأولى ضد هيمنة الاستكبار في هذه المنطقة. الشيء الذي وجه الإهانات و الإذلال للشعوب هو هيمنة

الاستكبار. و الشيء الذي يحول دون قيام وشائع الأخونة بين الشعوب المسلمة، و أن لا يفهم بعض المسلمين بعضاً، و لا تراكم قدراتهم و لا تعاضد، و لا تتشكل الأمة الإسلامية بالمعنى الحقيقي للكلمة هو دسائس الاستكبار و تدخلاته في هذه المنطقة. هذا ما يجب أن لا يستمر. ينبغي أن تتحرر الشعوب من تدخلات الاستكبار و تخلص من هيمنته و تسلطه. هذا هو مفتاح حل المشكلات في هذه المنطقة. معضلات الناس و الشعوب و مشكلات الحكومات – الحكومات البعيدة عن شعوبها و جماهيرها – تعود إلى تواجد القوى المستكبرة و تدخلاتها و على رأسها أمريكا. علاج مشكلات هذه المنطقة هو أن تصحو الشعوب على نفسها، و تتحلى الحكومات بالوعي اللازم، و تقضي الشيطان الأكبر عن التدخل و التصرف في مصائرها.

سياسات أمريكا الشرق أوسطية من شأنها أن تعارض الشعوب حكوماتها، و ينفتح بون شاسع بين الشعوب و الحكومات. إذا رفقت الشعوب حكوماتها فلن تقدر أية قوة على الميمنة على هذه البلدان، و لن تستطيع أية قوة المقاومة بوجه الشعوب. ما يحدث راهناً في بعض البلدان الإسلامية هو تواجد الشعوب في ساحة الكفاح و النضال. حين تحضر الشعوب و تشارك و تسجل تواجدها الفاعل المؤثر فإن سيوف القوى الكبرى ستعود كليلة. القوى الكبرى لا تستطيع أن تفرض منطق القوة على الشعوب، إنما تسلط أفراداً من أصدقائها و مرتزقتها على الناس، و هم الذين يتولون التعسف و فرض منطق القوة ضد الجماهير. و حين تنزل الشعوب للساحة ستستند الحكومات إلى دعامتين و أرصدة قوية تعتمد عليهما، هذا إذا كانت مواكبة لشعوبها. هذا هو سبيل علاج المشكلات في المنطقة.

الحكومة الصهيونية المريضة حالياً أشبه بالغدة السرطانية في المنطقة، و تفرض عليه الآفات و المرض. تنصب كل جهود الاستكبار على إبقاء هذه الغدة السرطانية في المنطقة. وجود هذه الغدة السرطانية في هذه المنطقة يسبب الحروب و الاختلافات و

الانقسامات و السياسات الخاطئة في هذه المنطقة. يستخدمون كل طاقاتهم و قدراتهم من الأجل الحفاظ على هذا الكيان و مكانته في المنطقة. هذا هو ما نشاهد اليوم آثاره و نتائجه، ألا و هو ردود أفعال الشعوب. حين تصحو الشعوب فسوف لن تطبق هذا الوضع و لن تصرير عليه.

نعتقد أن بعض التحركات التي تحصل في بلدان إسلامية معينة هي ردود أفعال الشعوب حيال الإهانات الطويلة التي وجهتها القوى الاستكبارية لها. وقد وجدت اليوم فرصة فنزلت إلى الساحة.

**واجبات النخب
السياسية و
العلمية و الدينية
في العالم
الإسلامي
لا تمرار
الصحوة
الإسلامية**

واجبات علماء الدين و النخب السياسية و العلمية و الجامعية ثقيلة جداً. الجماهير في هذه البلدان تحتاج حالياً إلى هداية هذه النخب و توجيهها، سواء النخب السياسية أو النخب العلمية أو النخب الجامعية أو الدينية. ثمة واجبات جسمية و كبيرة تقع على عواتقهم. يجب أن لا يسمحوا لأجهزة الاستكبار و أدواتها المتوعنة بمصادرة تحركات الشعوب العظيمة، و سرقة نخضات الجماهير. يجب أن يراقبوا و يكونوا على حذر. و يتحتم عليهم أن يوجهوا شعوبهم نحو الأهداف السامية التي تعد آمالاً وأهدافاً راقية في كل بلد من البلدان. إذا كان هذا كان مستقبل المنطقة مستقبلاً مشرقاً، و كان غد الأمة الإسلامية غداً متألقاً.

نحن المسلمين في العالم مليار و نصف المليار نسمة. و نقطن في أكثر المناطق حساسية من الناحية العسكرية و من حيث المصادر الطبيعية و الجوفية. لكن الآخرين هم الذين يحكموننا، و يعيّنون مصيرنا، و يحدّدون ما ينبغي أن يكون عليه نفطنا. الآخرون هم الذين يتخذون القرارات لحكوماتنا. يجب تغيير هذا الوضع، و سوف يتغير بلا شك. و تلاحظ اليوم علامات و مؤشرات ذلك. هذه هي الصحوة الإسلامية التي جاءت ببركة الإسلام.

هكذا يرى الإسلام أتباعه: «وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشْدَاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحْمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سَجَدًا يَتَغَوَّلُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرَضُوانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثْرِ السُّجُودِ». ^١ هذه علامات الأمة الإسلامية. هذه هي الروح المعنوية الموجودة فيهم من توكل على الله و توجه إليه و ذكر و تذكرة له، و خضوع أمامه. هذه هي خصوصية تربية الإنسان المسلم المؤمن. هذا هو الإنسان الذي يرى الإسلام: خاضع أمام الله تعالى، و رحيم عطوف مع إخوته في الإيمان، لكنه يقف كالجبل الأشم بوجه المستكرين و الظالمين.. «وَمِثْلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرْعٌ أَخْرَجَ شَطْنَهُ فَأَزْرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوْى عَلَى سُوقِهِ». ^٢ إنما مراحل رشد الأمة الإسلامية.. زرع بذلت و ينمو و يكبر و يتربع و

١. سورة الفتح، الآية ٢٩.

٢. م. س.

يقوى. «يعجب الزّراع». المزارعون أنفسهم الذين عملوا على إنبات هذا الزرع يندهشون حين يرونـه. إنـها يـد الـقدرة الإلهـية التي تـنمـي مثل هـؤـلـاء الأـشـخـاص. «ليغـيطـ بهـمـ الـكـفـارـ». حين يـنظـرـ الأـعـدـاءـ المـسـتـكـبـرـونـ إلىـ هـذـاـ الإـنـسـانـ الـمـسـلـمـ الـمـتـرـىـ فيـ أحـضـانـ الإـسـلـامـ سـوـفـ يـتـمـلـكـهـمـ الغـضـبـ وـ الـانـزـاجـ طـبـعـاـ.

هـكـذاـ يـجـبـ أـنـ نـعـمـلـ.. يـجـبـ أـنـ بـنـيـ أـنـفـسـنـاـ. وـ نـطـابـقـ أـنـفـسـنـاـ معـ القـرـآنـ الـكـرـيمـ. عـلـيـنـاـ تـنـظـيمـ وـضـعـنـاـ وـ بـرـاجـمـنـاـ معـ القـرـآنـ الـكـرـيمـ منـ حـيـثـ الـأـخـلـاقـ وـ السـلـوكـ معـ الـأـصـدـقـاءـ وـ معـ الـمـعـارـضـينـ وـ الـمـعـانـدـيـنـ وـ الـمـسـتـكـبـرـيـنـ. يـعـدـ اللهـ تـعـالـىـ أـمـثـالـ هـؤـلـاءـ الـذـينـ يـسـبـرـونـ عـلـىـ هـذـاـ الدـرـبـ بـأـنـ لـهـمـ أـجـراـ وـ ثـوابـاـ. وـ هـوـ أـجـرـ مـرـصـودـ لـهـمـ فـيـ الدـنـيـاـ وـ فـيـ الـآـخـرـةـ. لـهـمـ فـيـ الدـنـيـاـ الـعـزـةـ وـ التـمـتـعـ بـالـجـمـالـيـاتـ الإـلـهـيـةـ فـيـ هـذـاـ الـعـالـمـ – الـتـيـ أـعـدـهـ اللهـ لـلـنـاسـ – وـ لـهـمـ فـيـ الـآـخـرـةـ رـضـوانـ اللهـ تـعـالـىـ وـ جـنـاتـهـ.

هـذـاـ دـرـبـ اـخـتـرـتـمـوـهـ أـيـهـاـ الشـعـبـ الإـسـرـانـيـ العـزـيزـ وـ سـرـتـمـ فـيـهـ، وـ سـوـفـ تـوـاـصـلـونـهـ بـتـوفـيقـ مـنـ اللهـ. وـ هـوـ الدـرـبـ الـذـيـ نـشـاهـدـ وـ الـحـمـدـ للـهـ الشـعـوبـ الـمـسـلـمـةـ الـيـوـمـ فـيـ أـخـاءـ الـعـالـمـ الإـسـلـامـيـ تـخـتـارـهـ تـدـريـجـيـاـ وـ تـسـيرـ فـيـهـ الـواـحـدـ تـلـوـ الـآـخـرـ. قـالـ اللهـ عـزـ وـ جـلـ: «وـ الـعـاقـةـ لـلـمـتـقـيـنـ». ^١ لـوـ جـعـلـنـاـ هـذـهـ التـقـوـيـنـ مـنـهـجـ عـلـمـنـاـ فـلـاـ رـبـ أـنـ عـاقـبـةـ الـأـمـرـ وـ خـاتـمـتـهـ سـتـكـونـ لـلـأـمـةـ الإـسـلـامـيـةـ، وـ لـنـ يـكـوـنـ هـذـاـ мـسـتـقـبـلـ بـيـعـيـدـ عـلـىـ أـمـلـ اللهـ. أـتـمـنـيـ أـنـ يـوـقـقـ اللهـ تـعـالـىـ كـلـ الشـعـوبـ الـمـسـلـمـةـ وـ الـأـمـةـ الإـسـلـامـيـةـ، خـصـوصـاـ النـخبـةـ وـ الـمـؤـثـرـوـنـ مـنـ هـذـهـ الـأـمـةـ، لـيـسـتـطـيـعـوـاـ الـأـنـتـفـاعـ مـنـ بـرـكـاتـ وـ جـوـدـ الرـسـوـلـ الـأـكـرـمـ (صـ)ـ وـ تـعـالـيـمـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ. وـ نـسـأـلـ اللهـ سـبـحـانـهـ أـنـ يـشـمـلـ بـرـحـمـتـهـ الـوـاسـعـةـ إـمـامـنـاـ الـخـمـيـنـيـ الـجـلـيلـ الـذـيـ فـتـحـ أـمـامـنـاـ هـذـاـ الدـرـبـ، وـ يـشـمـلـ بـرـحـمـتـهـ أـيـضـاـ شـهـداءـنـاـ الـأـيـرـارـ الـذـينـ ضـحـوـاـ بـأـرـواـحـهـمـ فـيـ هـذـاـ السـبـيلـ. ^٢

١. سورة القصص، الآية ٨٣ .

٢. من كلمته في لقاء مدراء الجمهورية الإسلامية الإيرانية وسفراء البلدان الإسلامية في يوم ولادة الرسول الأعظم (ص)، بتاريخ ٢١/٠٢/٢٠١١ م.

**يوم المبعث..
أهم وأعظم و
أكثر أيام السنة
بركة**

لو كانت عظمة وأهمية الأيام باللطف الذي ينزله الله تعالى في ذلك اليوم على الإنسانية، فلا ريب أن يوم المبعث هو أعظم وأهم كل أيام السنة. ذلك أن نعمة البعثة وإرسال النبي الأعظم (ص) للبشرية أكبر من كل النعم الإلهية على طول التاريخ. من هنا يمكن القول بكل جرأة إن يوم المبعث هو أرقى وأكبر وأعظم أيام السنة بركة وفضلاً. يجب إحياء ذكرى هذا اليوم وتجسيد عظمته في أنظارنا.

يقول الإمام علي بن أبي طالب (عليه الصلاة والسلام): «أرسله على حين فترة من الرسل و طول هجعة من الأمم». ^١ حدثت البعثة بعد فترة طويلة من عدم وجود أنبياء إلهيين بين البشرية. كان قد مضى نحو ستمائة عام على بعثة النبي عيسى (ع). لم تكن البشرية قد شاهدت بينها سفيراً إلهياً منذ مئات السنين. فما كانت النتيجة؟ «و الدنيا كاسفة النور ظاهرة الغرور». ^٢ كان العالم مظلماً و المعنيويات غائبة و البشر يعيشون الجهل و الضلال و الغرور. في مثل هذه الظروف أرسل الله تعالى رسوله الأمين محمد (ص).

النبي الأكرم (ص) هو العنصر اللاقى و المجدى الذى أعده الله تعالى مثل هذه المسيرة الم浩لة الممتدة على طول التاريخ البشري. لذلك استطاع طوال ثلاثة وعشرين عاماً إطلاق تيار تقدم بالتاريخ إلى الأمام لحد اليوم على الرغم من كل المواقع و المشكلات و العقبات. ثلاثة وعشرون عاماً فترة قصيرة، و قد انقضت ثلاثة عشرة سنة منها في جهاد و كفاح تشوّبه الغربة و المظلومية. بدأ الأمر في مكة أولاً بخمسة أشخاص و عشرة أشخاص و خمسين شخصاً، و استطاع عدد قليل من الأفراد المقاومة تحت ضغوط منهكة مارسها ضدهم أعداء متغصبين جهلاء لا يهتدون. أرسىت دعائم قوية لينهض عليها المجتمع الإسلامي و الحضارة الإسلامية. و بعد ذلك هيأ الله تعالى ظروفاً استطاع فيها الرسول الأكرم (ص) المحرّة إلى المدينة و إقامة نظام و مجتمع، و تشييد حضارة. لم تتجاوز كل المدة التي أقام فيها الرسول الأكرم (ص) هذا النظام الفتى

١. الكافي، ج ١ ، ص ٦٠ .

٢. نوح البلاغة، الخطبة رقم ٨٩ .

وأعده و تقدم به إلى الأمام، لم تتجاوز العشرة أعوام، و هي فترة قصيرة طبعاً. مثل هذه الأحداث عادة من تضييع وسط طوفانات و أمواج الأحداث العالمية و تزول و يلقها النسيان. عشرة أعوام مدة قصيرة جداً، لكن الرسول الأكرم (ص) استطاع خلال هذه المدة غرس هذه النبتة و تعهد بها و سقايتها و توفير أسباب نموها و رشدتها، و إيجاد حركة خلقت حضارة ارتفت في أحقياتها المناسبة قمم التحضر الإنساني، و ذلك في القرنين الثالث و الرابع للهجرة. لم تشاهد في أية بقعة من العالم إذ ذاك و على الرغم من سوابق الحضارات و الدول المقتدرة ذات المواريث التاريخية المتعددة، لم تشاهد أية حضارة في ذلك الحين بعظمة و ازدهار و رونق الحضارة الإسلامية.. هذه هي ميزة الإسلام.

هذا في حين وقعت بعد فترة حياة النبي الأكرم (ص) و مدة الأعوام العشرة لحكومته أحاديث متعددة و ميراث للأمة الإسلامية، و ظهرت بعض العقبات و الاختلافات و التزاعات الداخلية. و رغم كل هذا و مع وجود اخراجات تكونت على مر الأعوام و شوائب ظهرت و تفاقمت في التيار الإسلامي، استطاعت رسالة الرسول الأكرم (ص) و رسالةبعثة على مدى ثلاثة أو أربعة قرون عرض تلك العظمة التي تدين لها اليوم الدنيا كلها و جميع الحضارات.. هذه تجربة..

لو فكرت البشرية و راعت الإنصاف فستعترف و تصدق بأن سبيلاً إنقاذ البشرية و مسيرتها نحو الكمال ممكن بواسطة الإسلام لا سواه. نحن المسلمين لم نشكر النعمة و لم نقدرها حق قدرها. لقد جازينا بجزء ستamar، و لم نعرف قدر الإسلام. لم نحافظ على الأركان و الدعائم التي أرساها الرسول الأكرم (ص) لتشييد المجتمعات الإنسانية المميزة المتكاملة. لم نشكر و لم نقدر، و ها نحن نقطف الشمار المرّة لهذا الجحود. كان و لا يزال بمقدور الإسلام أن يأخذ بأيدي البشرية إلى السعادة و الكمال و الرشد و النمو المادي و المعنوي. أرسى الرسول الأكرم (ص) هذه الدعائم و الركائز – ركائز الإيمان و العقلانية و النضال و العزة – و هي الدعائم الأصلية للمجتمع الإسلامي.

**العودة للإسلام
السبيل الوحيد
لإنقاذ البشرية و
السير نحو
الكمال**

لنقوّ إيماننا في قلوبنا وأعمالنا، و لنستفيد من العقل الإنساني الذي جعله الله تعالى هدية كبرى للبشر، و لعمل بالجهاد في سبيل الله سواء في ميادين القتال العسكري إذا اقتضت الضرورة، أو في الميادين الأخرى كميدان السياسة و ميدان الاقتصاد و الميادين الأخرى، و لغتنم مشاعر العزة و الكرامة الإنسانية و الإسلامية في نفوسنا.

حين تبعثر هذه المعاني في مجتمع من المجتمعات فسوف يتبع هذا المجتمع بلا شك المسار الإسلامي و خط النبي الكريم (ص). لقد استطاع الشعب الإيراني ببركة رسالة الإسلام و بفضل نداء إمامنا الخميني الكبير تحقيق جانب من هذه المعاني في حياتنا، و هنا نحن نشاهد آثارها و ثمارها الطيبة.

لقد استيقظ العالم الإسلامي اليوم و تبّه. التحرّكات و التطورات التي تلاحظ اليوم في بعض بلدان شمال أفريقيا و منطقة الشرق الأوسط، هي استفادة و استضافة من نور الإسلام، و انتفاع من توجيهات و إرشادات رسول الإسلام الأكرم (ص). لهذا فإن مستقبل هذه المنطقة و هذه البلدان مستقبل مشرق بتوفيق من الله و حوله و قوته سبحانه.

عدم جدوى مساعي الاستكبار لواجهة الصحوة الإسلامية

الغربيون يلحّون و يصرّون عبثاً، و يلحّون على مواقفهم الحاطنة دون جدوى. ما يحدث في الوقت الراهن في مصر و تونس و بعض البلدان الأخرى و يلاحظ معناه أن تاريخ هذه المنطقة قد تغيّر، و الصفحة قد انقلبت، و بدأ فصل جديد. المعادلة الحاطنة الظلمة التي أوجدها المستكبارون و المستعمرون الغربيون منذ مائة عام أو مائة و خمسين عاماً في هذه المنطقة، و أرادوا تسويتها على مصير هذه المنطقة العظيمة الحساسة، قد انقلبت و تغيّرت و بدأ فصل جديد.

طبعاً القوى المستكيرة الغربية تبدي اليوم إصراراً و عناداً و تشددأ، و لا يريدون الاستسلام مقابل هذا الواقع الكبير الذي لا سبيل لإنكاره و هو أن شعوب المنطقة قد استيقظت و عادت إلى الإسلام، بيد أن هذه هي الحقيقة. لقد بُثت الروح الإسلامية في البلدان الإسلامية. لقد فعل علماء أمريكا و الغرب و المرتبطون بهم بهذه الشعوب

ما أشعها أنها لا سبيل لها أمام هؤلاء إلا الثورة والتحرك الشامل المايل والنهضة، لذلك سارت في هذا الدرب وهي تتقدم فيه إلى الأمام. وسوف تؤتي هذه التحركات أكلها وثمارها دون شك.^١

**تعليم دروس
الرسول الأكرم
(ص) السبيل
إلى إحياء العزة
الإسلامية**

نحن المسلمين من أجل أن نجد سبيلاً للهداية يكفياناً أن نتعرف على شخصية الرسول الأعظم (ص). عقيادتنا طبعاً هي أن تنتفع البشرية كلها من وجود الرسول الأعظم (ص) و يجب أن تنتفع وهي تنتفع، لكن الأولى بالانتفاع هو نحن الأمة الإسلامية. هذا الوجود العظيم ذو الخلق العظيم وهذه الشخصية التي رتّاها الله تعالى لأضخم رسالة في تاريخ البشر، والذي يقول عنه الإمام الصادق (عليه السلام): «إن الله عزّ و جلّ أَدْبَبَ نَبِيَّهُ فَأَحْسَنَ تَأْدِيهِ، فَلَمَّا أَكْمَلَ لَهُ الْأَدْبَرَ قَالَ إِنَّكَ لَعَلَى خَلْقِ عَظِيمٍ، ثُمَّ فَوَّضَ إِلَيْهِ أَمْرَ الدِّينِ وَالْعِبَادَ لِيُسُوسَ عَبَادَهُ»،^٢ رَبِّ اللَّهِ سَبَّحَانَهُ هَذَا الْخَصْصِيَّةُ الْعَظِيمَةُ وَرَشَدَهَا وَنَمَّاهَا وَهَيَّأَهَا فِي هَذَا الْكِيَانِ الْمَطَهُورِ الْمَقْدِسِ كُلِّ مُسْتَلِزَمَاتِ مُشَرَّعِ تَارِيخِيِّ عَظِيمٍ، ثُمَّ أَلْقَى عَلَى عَاتِقِهِ هَذِهِ الْأَعْبَاءِ الْثَّقِيلَةِ.. أَعْبَاءِ الرِّسَالَةِ التَّارِيخِيَّةِ، لَذَا فَإِنَّ هَذَا الْيَوْمَ وَهُوَ السَّابِعُ عَشَرُ مِنْ رِبَيعِ الْأَوَّلِ يَوْمَ ولَادَةِ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ (ص) رَبِّمَا أَمْكَنَ الْقَوْلُ إِنَّهُ أَعْظَمُ عِيدٍ لِلْإِنْسَانِيَّةِ عَلَى مَدِيِّ التَّارِيخِ الْبَشَرِيِّ، حِيثُ أَهْدَى اللَّهُ تَعَالَى لِلْبَشَرِيَّةِ وَلِلتَّارِيخِ الإِنْسَانِيِّ مَثُلَّ هَذَا الإِنْسَانِ الْعَظِيمِ، وَقَدْ نَحْضَرَ هَذَا الإِنْسَانُ الْعَظِيمُ بِمَقْتضَيَاتِ الْمُشَرَّعِ الْمَهَاجِلِ الَّذِي أَلْقَى عَلَى عَاتِقِهِ.

لَوْ رَكَّزْنَا نَحْنُ الْمُسْلِمِينَ الْيَوْمَ عَلَى شَخْصِيَّةِ الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ (ص) وَ دَفَقْنَا فِيهَا وَ اسْتَلْهَمْنَا مِنْهَا الْدُّرُّوْسَ، لِكَفَانَا ذَلِكَ لِدِينِنَا وَ دُنْيَاَنَا. النَّظَرُ لِهَذَا الْوَجُودِ وَالْتَّعْلِمُ مِنْهُ وَ اسْتَلْهَامُ الْدُّرُّوْسِ مِنْهُ يَكْفِيَنَا لِلْعُودَةِ إِلَى عَزَّتِنَا. كَانَ (ص) مَظَهُراً لِلْعِلْمِ وَالْأَمَانَةِ وَ الْأَنْحَلَاقِ وَالْعَدْلَةِ، مَا الَّذِي يَحْتَاجُهُ الْبَشَرُ؟ هَذِهِ هِيَ احْتِيَاجَاتُ الْبَشَرِ، هَذِهِ احْتِيَاجَاتٌ لَمْ تَتَغَيَّرْ عَلَى مَرْتَبِ التَّارِيخِ الإِنْسَانِيِّ. كُلُّ هَذِهِ التَّحْوِلَاتِ وَالْتَّطَوُّرَاتِ الَّتِي

١. من كلمته في لقاءه مدراء الدولة في إيران بمناسبة يوم المبعث النبوى الشريف، بتاريخ ٣٠/٦/٢٠١١م.

٢. الكافي، ج ١ ، ص ٢٦٦ .

شهدتها حياة الإنسانية منذ بدايتها و إلى اليوم – حيث شهدت أوضاع الحياة الإنسانية وأحوالها و تنظيماتها الكبير من التغيرات – لم تؤد إلى تغيير المطالب و الاحتياجات الأصلية للإنسان. منذ فجر حياته و إلى يوم الناس هذا كان الإنسان ينشد الأمن و الاستقرار، و يرنو إلى العدالة، و يبحث عن الأخلاق و بريدها، و يحتاج إلى أوامر متينة بمصدر الخلق و الوجود. هذه هي المطالib الرئيسية للبشرية و النابعة من فطرته. الرسول الأكرم (صلى الله عليه و آله و سلم) تحسيد لكل هذه المعاني. نحن الأمة الإسلامية بحاجة لكل هذه الخصوصيات و الخصال. الأمة الإسلامية اليوم بحاجة للتقدم العلمي، و إلى الثقة بالله تعالى و الاطمئنان له، و هي بحاجة للعلاقات السليمة و الأخلاق الحسنة في ما بين أبنائهما. يجب أن نتعامل في ما بيننا بروح أخوية و بصفح و تسامح و حلم و غضّ للطرف عن المحتّمات. و الرسول الأكرم (ص) مظهر كل هذه الصفات و الأحوال بعلمه و حلمه و صفحه و رحمته و توّدده مع الضعفاء و عدله مع كل أبناء المجتمع. لنتعلم الدروس من الرسول الأكرم (ص) فنحسن بحاجة لذلك. نحن اليوم بحاجة للثقة بالله عزّ و جلّ و الاعتماد عليه و الاطمئنان لوعوده. لقد وعدنا الله تعالى فقال إذا جاهدتم و سعيتم فإن الله سبحانه يأخذ بأيديكم إلى المقصود و المدف، و ستتحققون أهدافكم في ظل صمودكم و مقاومتكم. ينبغي أن لا نشعر بالضعف و الانهيار أمام الشهوات الدنيوية.. يجب أن لا نشعر بالضعف حيال المال و المناصب و الوساوس النفسية المختلفة، بل نصبر و نقاوم. هذه هي الأمور التي تأخذ البشرية إلى ذروة الكمال، و تورث الأمة العزة، و تحقق للمجتمع السعادة و الرخاء الحقيقيين. نحن بحاجة لهذه الأمور، و مظهرها جميعاً هو رسول الإسلام الأمين (ص).

شخصية الرسول الأكرم (ص) و خصالها

هذه هي حياة النبي الأكرم (ص) في فترة طفولته و شبابه قبلبعثة. كانت أيامه بحيث لقبته كل قريش و كل العرب الذين عرفوه بالأمين. إنصافه تجاه الناس و نظرته العادلة لم يهم كانت بحيث عندما أرادوا أن ينصبوا الحجر الأسود في مكانه، و اختلفت قبائل العرب و تنازعـت في هذا الشأن، جعلوه حكماً، و الحال أنه كان شاباً. و في هذا

دليل على نظرته المنصفة للجميع، والكل كانوا يعلمون ذلك. كانوا يعلمونه صادقاً وأميناً. هذا عن فترة شبابه. ثم جاءت فترة العثة والتضحية والجهاد والعناء والصومود. كل الناس في ذلك الحين وقفوا بوجهه وعارضوه وساروا في الاتجاه المعاكس لمسيرته. كل تلك الضغوط والصعاب طوال ثلاثة عشر عاماً. أية أعوام عسيرة كانت، لكن النبي الأكرم (ص) وقف وقاوم فصنعت مقاومته أفراداً مسلمين مقاومين أقوىاء لا تؤثر فيهم أية ضغوط. هذه دروس لنا. ثم شُكّل مجتمع المدينة، ولم يحكم لأكثر من عشر سنين، لكنه أرسى دعائم صرح ظلّ لقرون من الزمن قمة الإنسانية في العلم والحضارة والتقدم المعنوي والأخلاقي والشروع. هكذا كان المجتمع الذي أسس له الرسول الأعظم (ص) وأرسى دعائمه.

على أن المسلمين أبدوا من بعده حالات خور و تفاسع، وقد فرضنا نحن المسلمين على أنفسنا التخلّف بأنفسنا، فلنسر اليوم على خطاه و نتقدم إلى الأمام. الأمة الإسلامية اليوم بحاجة للاتحاد و التراحم و التعارف. بهذه النهضات التي قامت حاليًّا في العالم الإسلامي و العالم العربي.. هذه الصحوة التي شهدتها الشعوب، و هذا التوأجد الذي سجّلته الجماهير في الساحات، و هذه التراجعات المتتابعة لأمريكا و الأجهزة الاستكبارية، و هذا الضعف المتزايد الذي يعيشه الكيان الصهيوني، هذه كلها فرص لنا نحن المسلمين و للأمة الإسلامية. لنعد إلى أنفسنا و نستلهم الدروس، و لا ريب إن شاء الله في أن تستمر هذه المسيرة بحمد الله تعالى و الكبراء و المثقفين و النخبة العلمية و السياسية و الدينية، و سيرى العالم الإسلامي مرة أخرى أيام عزته إن شاء الله.^١

أبارك للشعب الإيراني الكبير الذي جعل البعثة و الحركة وجهة عمله و مسيرته، و
جاهد و ناضل و تحمل الصعاب من أجل تحقيق الأهداف الكبرى لبعثة خاتم الأنبياء
(ص)، و شملته و الحمد لله الوعود الإلهية، حيث وعد الله تعالى الشعوب التي تسير في
هذا الدرب بالفتح و التقدم و السعادة، و وعد الله تعالى لا إخلاف فيه. كما نبارك

١. من كلمته في ذكرى ولادة نبي الإسلام الكريم (ص) بتاريخ ١٠/٢/٢٠١٢ م.

هذا العيد الكبير للأمة الإسلامية التي جعلت دين محمد (صلى الله عليه و آله و سلم) وجهتها بعد عشرات الأعوام من التجارب. من بعد أن جرّب المستنيرون و النخبة و رواد الشعوب المسلمة على مدى سنوات طويلة الكثير من المدارس و المذاهب الشرقية و الغربية و تأكّدوا من إخفاقها و عقمها، أقبلت الأمة الإسلامية اليوم على مضمون البعثة و أهدافها. هذا اليوم يوم مبارك للأمة الإسلامية و نتمي أن تتمتع البشرية كلها ببركات هذه البعثة.

ما أود أن أقوله اليوم هو أن للبعثة أبعاداً و مناج عديدة. أحزمة النور التي شعت من هذا الحدث على البشرية ليست واحدة أو اثنتين، لكن البشرية اليوم بأمس الحاجة لتيارين ناجحين عن البعثة: أحدهما إثارة الفكر و التفكير، و الثاني التهذيب الأخلاقي. إذا جرى تأمّن هذين التيارين، فسوف يصار إلى تأمّن المطالب و الآمال القديمة للبشر، من قبيل العدالة و السعادة و الرفاه الديني. المشكلة الأساسية تكمن في هذين التسمين.

قال (ص): «بعثت لأنتم مكارم الأخلاق». ^١ و قال سبحانه و تعالى في القرآن الكريم: «هو الذي بعث في الأممِ رسولاً منْهُمْ يَتلوُ عَلَيْهِمْ آياته و يزكيهم». و من بعد التركية يقول: «و يعلمهم الكتاب و الحكم». ^٢ هذا هدف رفيع سام، تركية النفوس و تطهير القلوب و رفع مستوى الأخلاق الإنسانية، و إنقاذ الناس من مزايل الرذائل و الأمراض الأخلاقية و الشهوات النفسية. هذا مقصد و هدف بحد ذاته. و قضية التفكير أيضاً قضية أساسية و مهمة، و لا تختصّ برسولنا الكريم (ص)، فالأنبياء و الرسل (ع) كلهم بعثوا لإحياء قدرة الإنسان على التعلّق و التفكير. يقول الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في خطبة له في نجح البلاغة: «ليستأدوهم ميشاق فطرته و يذكروهم منسيّ نعمته.. و يشروا لهم دفائن العقول». ^٣ بعث الأنبياء

١. بخار الأنوار، ج ٦٨ ، ص ٣٨٢ .

٢. سورة الجمعة، الآية ٢ .

٣. نجح البلاغة، الخطبة رقم ١ .

ليظهروا للبشر الكنوز العقلية المدفونة في داخلهم و يستخرجوها لهم. نحن البشر لدينا مواهب عظيمة من التفكير مودعة في داخلنا. حين لا نفكّر ولا نقرأ ولا نتدبر في الآيات الإلهية، و لا نتأمل في تاريخنا و في ماضينا و في مختلف القضايا التي تحدث للبشر، و في مشكلات الأمس، و في عوامل الانتصارات الكبرى التي حققتها الشعوب، سنبقى محروميين من ذلك الكنز المعنوي الذي أودعه الله تعالى في داخلنا.. «و يذكّروهم منسيّ نعمته... و يشيروا لهم دفائن العقول». البشرية اليوم بحاجة لهذين الأمرتين.^١

١. من كلمته في لقاءه مسؤولي الدولة و البلاد و سفراء البلدان الإسلامية بتاريخ ١٨/٦/٢٠١٢ م.